انتهت مهلة الانتظار في تونس وأزفت ساعة الإصلاحات

ص6

توفيق حكار

رجل ظلّ في الجزائر تدفع به أزمة الغاز إلى الأضواء

ص8

المثقف المرتجل كاتب مستعجل يريد حضورا لافتا من دون تأسيس

ص10

العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2022/03/06

03 شعبان 1443

السنة 44 العدد 12348

Sunday 06/03/2022

44th Year, Issue 12348

تسوية الحساب: مقابلة محمد بن سلمان أكثر من عودة

ملف النفط ورقة ولي العهد السعودي لتنبيه إدارة بايدن بأن الندية هي أساس التعامل

الرياض – تحتاج مقابلة ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان مع مجلة ذي أتلانتيك إلى أكثر من عودة لقراءة رسائلها ودلالاتها، في وقت تقول فيه أوساط سياسية خليجية إن المقابلة كانت مقصودة في توقيتها وفي سقف صراحتها خاصة تجاه الولايات المتحدة والرئيس جو بايدن، وإن صداها مازال يتردد خارج السعودية لتنوع الرسائل التي حملتها إلى أكثر من جهة دولية.

وقالت الأوساط السياسية الخليجية إن المقابلة جاءت ضمن ما يمكن تسميته بتسوية الحساب تجاه الأميركيين في ملفات مختلفة، مشيرة إلى أن ولي العهد السعودي ترك إدارة بايدن لأكثر من عام ترمي بكل ما عندها من اتهامات وضغوط ومواقف تجاهه كشخص أو تجاه الدور الإقليمي للسعودية، والآن بدأ يظهر أوراقه وخططه لإقامة علاقة متكافئة تبنى على المصالح.

وأشارت هذه الأوساط إلى أن الأمير محمد بن سلمان صمت وتحمّل التغاضي الأميركي والاستهداف في موضوع جمال خاشقجي كما أشار إلى ذلك في المقابلة ثم ظهر بقوة ليقول إن السعودية تهتم ببناء علاقاتها الخارجية على قاعدة الندية، وهي حريصة على تمتين العلاقة مع واشنطن، لكن تبقى حماية المصالح الأميركية مهمة جو بايدن، في رسالة واضحة على أن المملكة لديها ما يكفي من البدائل، وأن الأميركيين إذا كانوا حريصين على مصالحهم فعليهم أن يغيروا أسلوبهم.

وبعد صدور المقابلة التي كشفت عن غضب سعودي مكتوم من خيارات واشنطن، اتصل ولي العهد السعودي بالرئيس الروسي فلاديمير بوتين، مجددا "حرص المملكة على المحافظة على توازن أسواق البترول واستقرارها منوها بدور اتفاق أوبك+ في ذلك وأهمية المحافظة عليه"، في رسالة قال مراقبون إنها تهدف إلى تأكيد التحالف مع روسيا في مجال النفط في تعارض مع ما تريده واشنطن.

وصار واضحا أن متنفس العالم الوحيد هو النفط،

جيمس دورسي

السعودية تسعى لعدم الظهور بصورة المعارض للمصالح الروسية

وهو ما يريد استثماره ولي العهد السعودي بشكل علني لتوجيه رسالته إلى واشنطن لجرّها إلى الحوار مع بلاده ومعه شخصيا بعدما بدا أنه فيتو من الرئيس الأميركي بشأن التواصل معه بعد مسعى لتحميله قضية خاشقجي.

وكتب جيمس دورسي وهو زميل بارز في معهد الشرق الأوسط بجامعة سنغافورة الوطنية "تسعى السعودية... لعدم الظهور بصورة المعارض للمصالح الروسية. وبذلك، يمكنها أن تضرب عصفورين بحجر، فتبقي الباب مفتوحا أمام موسكو، وترد، بقدر مّا، على رفض بايدن التواصل مع الأمير محمد بن سلمان".

ونقلت وكالة رويترز الخميس عن مصدر قالت إنه مطلع على طريقة التفكير السعودية أن "ورقة محمد بن سلمان الوحيدة هي السياسة النفطية للضغط على الأميركيين لإعطائه ما يريد.. الاعتراف والأسلحة (لحرب) اليمن".

ويقول المراقبون للشأن السعودي إن الأمير محمد بن سلمان لم يعد يلتفت إلى الماضي بشأن الفيتو الأميركي حول شخصه، وإن ما يهمّه هو تأكيد امتلاكه للورقة الأهم حاليا، أي ورقة النفط، مع ما يحمله ذلك من مطالب بشأن إعادة الأميركيين تصويب أسلوبهم في التعامل مع المملكة كحليف استراتيجي سواء ما تعلق بحرب اليمن أو بمسألة الأمن الدفاعي والموقف من إيران وغياب أيّ ضمانات تتعلق بالسعودية والخليج ككل في الاتفاق النووي الذي تستعد الولايات المتحدة لإبرامه مع إيران.

ويشير المراقبون إلى أن وضع السعودية نفسها إلى جانب روسيا برفضها الاستجابة لمطالب واشنطن بشأن زيادة الإنتاج في أوبك+ هو رسالة على أنها لم تعد تقبل بأن ترهن مصالحها المباشرة لأجندات خارجية مثلما حدث في السابق مع الولايات المتحدة.

ومع اشتعال الحرب وبلوغ النفط أسعارا قياسية صار واضحا أن السعودية لاعب أساسي، ولأجل هذا لم يتجاوب ولي العهد السعودي مع الضغوط الإضافية التي مارسها الأميركيون بشأن خلق بدائل تتعلق بالاستغناء ولو جزئيا عن الإمدادات الروسية بعد أن أوهمت واشنطن الآخرين بأن حلولا لقضية الغاز يمكن أن تأتي من قطر أو الجزائر.

عودة من موقع قوة

ويدرك ولي العهد السعودي أن واشنطن لا يمكن أن تجازف بأيّ خطوات غير محسوبة في موضوع النفط، فهي في حاجة دائما إلى النفط السعودي خاصة أن كل الاحتياطي الاستراتيجي الأميركي يعادل ستة أيام من إنتاج السعودية من النفط، وأن الناقلات العملاقة التي استأجرتها السعودية وحملتها بالنفط منذ أكثر من سنة هي الخزين الحقيقي الذي يحفظ توازن السوق بالرغم من إعلان الولايات المتحدة ودول أخرى بأنها ستضخ كميات من مخزونها لإحداث التوازن بين العرض والطلب وتعديل الأسعار.

ولم تتفاعل السعودية مع تحركات أميركية كانت تهدف إلى التأثير على تمسك الرياض باتفاق أوبك+ ومحاولة خرق هذا الاتفاق بتوظيف الحرب على أوكرانيا وضرورة اتخاذ عقوبات ضد روسيا.

وتوجه آموس هوكستين المبعوث الخاص لوزارة الخارجية الأميركية لشؤون الطاقة إلى الرياض الشهر الماضي لإجراء محادثات حول سبل التصدي للتأثيرات المحتملة على أسواق النفط في ظل التدخل الروسي لأوكرانيا.

الصدر يفتح باب المساومة مع بارزاني من بوابة رئاسة العراق

بغداد – قالت مصادر سياسية عراقية إن قبول البرلمان فتح باب الترشح من جديد لمنصب رئيس الجمهورية يظهر أن زعيم كتلة الأغلبية مقتدى الصدر قد خضع لضغوط الحزب الديمقراطي الكردستاني بزعامة مسعود بارزاني بعد أن أسقطت المحكمة الاتحادية مرشحه السابق هوشيار زيباري بسبب اتهامات بالفساد في فترة استلامه وزارة المالية.

ولفتت المصادر إلى أن الصدر قبل بالمساومة مع حزب بارزاني من خلال رهْن مصير التحالف البرلماني الثلاثي بفتح الباب أمام ترشيح شخصية جديدة من الحزب الديمقراطي، وهو ما يعني عمليا أن زعيم الكتلة الأغلبية سيضع نفسه في المستقبل عرضة لمساومات أخرى من حلفائه في البرلمان، وهو ما قد يهزّ من صورته ويفتح الباب أمام التنازلات في قضايا أساسية في خطابه السياسي.

وتساءلت هذه المصادر إن كان تنازل الصدر في موضوع الترشيحات سيدفعه إلى تقديم تنازلات أخرى خاصة تمسّك بارزاني برفض قانون النفط الذي أصدرته المحكمة، مضيفة أن على زعيم التيار الصدري أن يفسر للعراقيين ترحيب بارزاني بقرار المحكمة فيما يخص الترشيح ورفضه لقرارها الخاص بالنفط، وهل أنه سيقبل بحليف ينتقي القوانين حسب مصالحه ويضغط بوزنه البرلماني لتمريرها.

ويعتقد متابعون للشأن العراقي أن تحالف الصدر مع بارزاني سيوقعه في مشاكل كثيرة خاصة حين تكون العلاقة غير متكافئة، فبارزاني يعرف حاجة الصدر إلى إنجاح التحالف لإظهار أنه قويّ وقادر على تشكيل حكومة دون حاجة إلى الإطار التنسيقي وخاصة خصمه نوري المالكي.

وقال المتابعون إن على الصدر أن يفسر ليس فقط للعراقيين، ولكن أيضا لأنصاره كيف يتحالف مع شخصية انفصالية تريد أن تضع يدها على النفط والغاز وتبني علاقات مباشرة مع دول إقليمية دون المرور بالحكومة المركزية، مقابل خسارة شخصية توافقية تؤكد على وحدة العراق مثل الرئيس المنتهية ولايته برهم صالح.

وحذّر هؤلاء من أن تحالف الصدر مع بارزاني وهذا سيجره إلى أن يكون طرفا في الصراع بين الأكراد وتفاصيله المعقدة، ما يقود إلى خسارة جزء من شعبيته، ويبعده عن تنفيذ خطته في بناء جبهة عراقية "لا شرقية ولا غربية".

ووافق مجلس النواب العراقي السبت على إعادة فتح باب الترشيح لمنصب رئاسة الجمهورية، بعد أسابيع من العرقلة والمفاوضات.

فقد أخفق مجلس النواب في انتخاب رئيس جديد للجمهورية في الجلسات السابقة رغم انقضاء مهلة الثلاثين يوماً منذ جلسته الأولى المنصوص عليها في الدستور، ما دفع رئيس البرلمان محمد الحلبوسي إلى إعادة فتح باب الترشيح مرة ثانية في الثامن من فبراير.

ولاقت هذه الخطوة رفضا من قبل بعض نواب الإطار التنسيقي المقرّب من إيران. وقدّم هؤلاء طعناً بالقرار أمام المحكمة الاتحادية العليا.

واعتبرت المحكمة الاتحادية قبل أيام أن إعادة فتح باب الترشيح غير دستورية ما لم تخضع للتصويت في البرلمان.

وبناء على ذلك، عقد المجلس السبت جلسة لطرح القرار على التصويت. وشارك في الجلسة 265 نائباً من أصل 329. وبلغ عدد المصوتين لصالح قرار فتح باب الترشيح لمدة ثلاثة أيام 203 فيما رفض 62 نائباً التصويت، بحسب مراسل فرانس برس.

> على الصدر أن يفسر كيف يتحالف مع شخصية انفصالية تضع يدها على النفط وتبني علاقات خارجية دون المرور بالحكومة

وأرجئت جلسات انتخاب رئيس الجمهورية الذي يقتضي العرف أن يكون كردياً، لعدم اكتمال النصاب بسبب خلافات سياسية خصوصا بين أبرز حزبين كرديين.

وعكست الخلافات السياسية التي شهدتها الساحة العراقية خلال الأيام الأخيرة حجم الانقسام بين الأحزاب الرئيسية في بلد غالبا ما تتخذ فيه القرارات المهمة بالتوافق وعلى أساس مفاوضات تجري بعيدا عن الأضواء.

ففي الوقت الذي يعتبر المنصب من حصة الاتحاد الوطني الكردستاني الذي كان يتزعمه الراحل جلال طالباني، وشغل أعضاؤه المنصب منذ العام 2004، يتمسك الحزب الديمقراطي بتقديم مرشح للمنصب.

ويحتاج انتخاب رئيس الجمهورية أن يكون نصاب الجلسة الثلثين أي أكثر من 220 نائباً، وهو أمر يبدو صعباً مع مقاطعة الإطار التنسيقي.

تركيز روسي وأوكراني على دور وسيطين متفهمين: الإمارات وإسرائيل

موسكو – بعيدا عن التصريحات والتصريحات المضادة بشأن مسار الحرب، يتجه الطرفان الروسي والأوكراني إلى التركيز على الوسطاء القادرين على القيام بدور بناء في التهدئة. وتتحرك الوساطة حاليا على خطين، الأول خط الإمارات، وهو دور يحوز على رضا مختلف الأطراف وتحركت فيه منذ بدء المعارك، والثاني خط إسرائيل التي زار رئيس وزرائها نفتالي بينيت مساء السبت موسكو.

وعلى مستوى خط الوساطة الإماراتية، فقد أظهرته بشكل علني اتصالات ولي عهد أبوظبي الشيخ محمد بن زايد آل نهيان مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين ومع الرئيس الأوكراني فلوديمير زيلينسكي، حيث أكد في الاتصالين وبصيغة متقاربة أن "دولة الإمارات تدعم كل تحرك على طريق التسوية السلمية للأزمة، وحريصة على تقديم المساعدة إلى المدنيين المتضررين من الأزمة في أوكرانيا من منطلق نهجها الإنساني المتأصل في سياستها الخارجية".

وقال مراقبون إن الإمارات تتفهم المخاوف الروسية وغير مستعدة لتجاوزها بحجة إنجاح الوساطة أو أن يكون عامل أسعار النفط مغريا لها، ولذلك لا تخفي تأكيدها الالتزام باتفاق أوبك+ وبالحفاظ على علاقات متوازنة مع مختلف الأطراف، وتعطي الأولوية لوقف المعاناة الإنسانية للحرب.

وأشار المراقبون إلى أن الإمارات تدرك كذلك خطر التأرجح الأميركي الذي دفع بفرنسا وألمانيا إلى مواقف سرعان ما تراجع عنها الرئيس إيمانويل ماكرون والمستشار أولاف شولتس اللذان أعادا فتح الخطوط مع بوتين.

وتكتسب الوساطة الإماراتية ثقة الأميركيين كذلك بالرغم مما تبديه من عتب بشأن امتناع أبوظبي عن دعم مشروع قرار أميركي لإدانة روسيا، خاصة أن الإمارات باتت تترأس مجلس الأمن ويمكنها أن تساهم بفعالية في الدفع نحو التهدئة.

ويرى المراقبون أن الأميركيين يريدون استثمار العلاقة الجيدة التي تربط الإمارات بروسيا؛ وهي علاقة متشابكة ومتعددة الأوجه تجمع بين العلاقات الاقتصادية والعسكرية المتينة من جهة، وكذلك التحالف على مستوى منظمة أوبك+ وهو ما يتيح لواشنطن تأمين قناة تواصل متينة وذات مصداقية لدى الطرفين الروسي والأوكراني.

وبالتوازي مع الدور الإماراتي، تأتي زيارة رئيس الوزراء الإسرائيلي إلى موسكو ولقاؤه ببوتين لتفتح طريقا ثانيا نحو الوساطة. وتستفيد إسرائيل من معطى تاريخي هام، حيث أن عددا كبيرا من الإسرائيليين ينظرون إلى روسيا وأوكرانيا كبلد ثان لهم، خصوصا الجيل الذي هاجر من الاتحاد السوفييتي أواخر الثمانينات وبعد انهيار جدار برلين، وأبناؤهم من الجيل الثاني الذين يشكلون حضورا سياسيا واجتماعيا كبيرا في المجتمع الإسرائيلي الفتيّ.

ومن جهة أخرى، فإن إسرائيل نجحت في أن تبني الثقة مع روسيا من بوابة وجودها في سوريا، وينظر إليها الإسرائيليون كصمام أمان للتوازنات في سوريا والمنطقة، فمن جهة منع تواجدها استفراد إيران بنظام الأسد الضعيف، ومن جهة ثانية وفّرت محطة التنسيق التي تسمح لإسرائيل بمهاجمة الأهداف الإيرانية في سوريا من دون عرقلة أو معوقات.

وقال المتحدث باسم رئيس الوزراء الإسرائيلي إن بينيت اجتمع مع بوتين في الكرملين السبت لبحث أزمة أوكرانيا.

وعرضت إسرائيل الوساطة في الصراع بين روسيا وأوكرانيا، على الرغم من أن مسؤولين قللوا في السابق من التوقعات بإمكانية حدوث انفراجة.

وكانت تل أبيب أدانت التدخل الروسي وأرسلت مساعدات إنسانية إلى أوكرانيا، لكنها قالت إنها ستحتفظ باتصالاتها بموسكو أملاً في المساعدة في تخفيف حدة الأزمة.

وكانت وسائل إعلام إسرائيلية قالت الشهر الماضي إن تل أبيب رفضت طلبا أوكرانيا بتزويدها بمنظومة "القُبة الحديدية"، المضادة للصواريخ خشية على علاقاتها مع روسيا.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينارات – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

العرب
الأحد 2022/03/06
السنة 44 العدد 12348

الترقب يسود طرابلس وسط الأزمة بين الدبيبة وباشاغا

مبادرة ويليامز تعمق الانقسامات بين الليبيين

يسود الترقب العاصمة الليبية طرابلس وسط مخاوف من حدوث تصعيد قد يفضي إلى تجدد الاقتتال بسبب تشبث رئيس حكومة الوحدة الوطنية المنتهية ولايتها عبدالحميد الدبيبة بعدم تسليم السلطة لرئيس الوزراء الجديد فتحي باشاغا الذي تعهد بتسلّم الحكم من طرابلس بشكل سلس ودون عنف.

طرابلس - يُخيم الترقب على مآلات التنافس بين رئيس الوزراء الليبي الجديد فتحي باشاغا ورئيس الحكومة المنتهية ولايته عبدالحميد الدبيبة على العاصمة طرابلس في وقت دفعت فيه المستشارة الخاصة للأمين العام للأمم المتحدة ستيفاني ويليامز بمبادرة زادت من حدة الانقسام.

وفيما رحب المجلس الأعلى للدولة الاستشاري الذي يسيطر عليه الإسلاميون بمبادرة ويليامز من خلال رئيسه خالد المشري الذي غرد على تويتر قائلا "سنكون في الموعد تعبيرا عن إرادة الليبيين في الذهاب المباشر إلى الانتخابات"، لازم البرلمان الصمت وهاجم بعض من أعضائه ستيفاني ويليامز.

وقال النائب جبريل أوحيدة إن مبادرة ويليامز محاولة لإعادة إدارة الأزمة الليبية بأيدٍ خارجية، مشددا في تصريحات لوسائل إعلام محلية على أن هذه المبادرة مناورة جديدة ومحاولة لإفشال التوافق الداخلي في البلاد.

وفي المقابل يخيم التوتر على العاصمة طرابلس، حيث أرخت الأزمة الناجمة عن رفض الدبيبة تسليم السلطة لرئيس الحكومة الجديد فتحي باشاغا بظلالها الكثيفة.

جبريل أوحيدة

مبادرة ويليامز محاولة لإعادة إدارة الأزمة بأيدٍ خارجية

وبعد أن عادت الحياة إلى طبيعتها في ساحة الجزائر بالعاصمة نتيجة وقف إطلاق النار المستمر منذ فترة طويلة وتشجير الميدان مرة أخرى واستقبال مقهى الأورورا للزبائن طوال الليل، باتت الأزمة الليبية الجديدة التي تتعلق بحكومتين متنافستين تهدد بقلب هذا السلام والأمان رأسا على عقب.

وتلعب ساحة الجزائر دورا كبيرا في الحياة المدنية للعاصمة وتضم مجلس المدينة ومكتبا للبريد ومسجدا كان كاتدرائية إيطالية خلال الحقبة الاستعمارية. لكن الساحة قريبة أيضا من خطوط مواجهة محتملة في معركة يخشى الكثير من الليبيين أن تندلع قريبا.

وتفاقمت المواجهة خلال الأيام القليلة الماضية عندما أدت حكومة جديدة في الشرق اليمين الدستورية أمام البرلمان، في حين رفضت الحكومة في طرابلس التخلي عن السلطة.

وتمثل زيادة عدد المركبات الأمنية التي تشق طريقها في شوارع العاصمة دلالة على أزمة قد تفجر شرارة القتال ما لم يتم التوصل إلى اتفاق.

وقال جمال أعبيد الموظف بالحكومة في أحد الشوارع القريبة من ساحة الجزائر "ليبيا يتم تدميرها يوميا ولا نرى انتخابات أو ديمقراطية أو عملية سياسية سليمة قادرة على إنهاء هذه الكارثة التي أصبحت بمثابة الكابوس".

ولم يتم إجراء الانتخابات التي كانت مقررة في ديسمبر الماضي وسط خلافات بين الفصائل حول قواعدها. وعين البرلمان في طبرق بشرق ليبيا حكومة جديدة يوم الخميس رغم رفض الحكومة المنتهية ولايتها في طرابلس التنازل عن السلطة.

وندد الدبيبة الذي تم تنصيبه قبل عام في عملية ساندتها الأمم المتحدة بقيام البرلمان بتعيين فتحي باشاغا ليحل محله، وقال إنه لن يستقيل إلا بعد الانتخابات.

ومع ذلك يبدو أن الرجلين يعتقدان أن بإمكانهما الاعتماد على الدعم من الفصائل المسلحة الكثيرة والتي يتمتع مسلحوها بسيطرة حقيقية على شوارع طرابلس. وقد يؤدي تحرك متوقع من باشاغا لدخول العاصمة إلى انطلاق شرارة القتال.

ويخشى سكان طرابلس من استئناف القتال الذي توقف في صيف 2020 بعد هجوم فاشل لقوات شرق ليبيا على مدى 14 شهرا تعرضت خلاله شوارع المدينة لوابل من القذائف.

وظاهريا تستمر الحياة في العاصمة كالمعتاد حيث يذهب الطلاب إلى مدارسهم وتفتح المتاجر أبوابها ويجلس الناس إلى طاولات خارج المقاهي في ساحة الجزائر وأماكن أخرى.

ولا تزال طلقات النار التي تتخلل أحيانا الزحام اليومي لحركة المرور تتعلق فحسب بحفلات الزفاف أو برجال مسلحين يستعرضون أمام الأصدقاء.

تعنت الدبيبة يضع ليبيا أمام منعرج خطير

لكن الفصائل المسلحة باتت ظاهرة للعيان أكثر من ذي قبل وتقوم بدوريات في قوافل أكبر وتنصب المزيد من نقاط التفتيش وعند المباني الحكومية المحيطة.

وخلال 11 عاما من الفوضى التي عمت ليبيا في أعقاب انتفاضة 2011 التي دعمها حلف شمال الأطلسي، كانت معظم الفصائل المسلحة مدرجة في كشوفات رواتب الدولة ومنحت ألقابا شبه رسمية وكانت قواتها ترتدي الزي الرسمي مع شارات الوزارة.

ويقول باشاغا وهو وزير داخلية سابق إنه يتخذ ترتيبات لتولي المنصب في طرابلس على نحو سلمي، مما يعني ضمنيا أنه يستطيع الحصول على دعم ما من الفصائل المسلحة يكفي لحمل الدبيبة على الاستقالة دون مقاومة.

ولكن خلال الأيام الماضية أدلت عدة فصائل مسلحة قوية ببيان على شاشات التلفزيون نددت فيه بتنصيب البرلمان لباشاغا.

وقال محمد عبدالمولى (38 عاما) الموظف بشركة طبية "بعد الفشل في إجراء الانتخابات (...) لم يرغب أي من الطرفين في تقاسم السلطة مع الآخر وهذا هو سبب دمار ليبيا".

المغرب ينتهج سياسة الحياد الإيجابي للنجاة من فخ الأزمة الأوكرانية

محمد ماموني العلوي

الرباط - بعث عدم تصويت المغرب على قرار يدين تدخل روسيا في أوكرانيا برسائل مفادها أن الرباط اختارت نهج الحياد الإيجابي في موقفها من قرار الجمعية العامة بخصوص الحرب الدائرة بين موسكو وكييف، حيث أنها تدعم الوحدة الترابية والوطنية لجميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة، مع تشبثها بمبدأ عدم اللجوء إلى القوة لتسوية النزاعات بين الدول، وتشجيعها لجميع المبادرات والإجراءات التي تسهم في تعزيز التسوية السلمية للنزاعات.

وحفاظا على مسافة واحدة مع كل من روسيا وأوكرانيا لم يصوت المغرب على قرار أممي يدين حرب موسكو ضد كييف، متخذا موقفا يتماشى مع مبادئ الشرعية الدولية هو نتيجة لسياسة تنويع الشركاء التي ينتهجها المغرب والتي تضعه في موقع جيوسياسي حساس حفاظا على المصالح السياسية والدبلوماسية والاقتصادية المكتسبة دون التفريط في عقيدة السياسة الخارجية المبنية على قاعدتي احترام السيادة وعدم استعمال العنف لتسوية النزاعات.

وقال نبيل الأندلوسي الباحث في العلاقات الدولية إن "المملكة المغربية عبرت بكل وضوح عن تشبثها القوي باحترام الوحدة الترابية والسيادة والوحدة الوطنية لجميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة، مع تأكيد مقاربة تسوية الخلافات بالوسائل السلمية، واحترام مقتضيات ميثاق الأمم المتحدة ومبادئ القانون الدولي للحفاظ على الأمن والسلم العالميين، وحرصها على تشجيع عدم اللجوء إلى القوة لتسوية الخلافات بين الدول".

وأضاف الأندلوسي في تصريح لـ"العرب" أن "هذا التصويت دليل على وضوح الموقف الدبلوماسي والسيادي للمملكة المغربية مما يقع اليوم في أوكرانيا، وهو توجه راسخ ومبدئي للخارجية المغربية التي تسعى دائما للانتصار للمبادئ المؤسسة للقانون الدولي واحترام مقتضيات ميثاق الأمم المتحدة ورفض أي مساس بالوحدة الترابية للدول".

ووضعت الحرب التي تدور رحاها في أوكرانيا عدة دول تحت وطأة ضغط حاد، إذا أنها باتت مدعوة إلى الاختيار بين موسكو والغرب، لكن المغرب يسعى لموازنة مواقفه للحفاظ على مصالحه مع التشبث بالحلول السلمية للأزمات.

وفسرت وزارة الخارجية والتعاون الأفريقي والمغاربة المقيمين بالخارج عدم مشاركة المملكة المغربية في التصويت على قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بخصوص الوضع بين أوكرانيا وروسيا الذي جرى الأربعاء الماضي، بأنه لا يمكن أن يكون موضوع أي تأويل بشأن موقفها المبدئي المتعلق بالوضع بين روسيا الفيدرالية وأوكرانيا.

وعبرت وزارة الخارجية المغربية عن دعمها للوحدة الترابية والوطنية لجميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة وعدم استخدام القوة لتسوية الخلافات بين الدول، أي أن المغرب يتخذ موقفه انطلاقا من الشرعية الدولية وأيضا بناء على حماية مصالحه السيادية.

وأشار الأندلوسي إلى تريث المغرب في التموقع في هذه الظرفية الحساسة، خاصة وأن طرفي النزاع في حقيقة الأمر هما روسيا من جهة والولايات المتحدة من جهة أخرى، مما يجعل أي قرار يتخذ في هذا الشأن بالغ الحساسية والتعقيد وستكون له تبعات، خاصة وأن إرهاصات نظام عالمي جديد بدأت تتضح، وأن المغرب يحاول منذ فترة أن يثبت أنه دولة مستقلة في علاقاتها الدولية، ويسعى لتنويع شركائه.

ويزن المغرب علاقاته مع روسيا جيدا نظرا إلى مواقفها من الصحراء والتي تعبر عنها بالامتناع عن التصويت بوصفها عضوا دائما ومؤثرا في الأمم المتحدة، إلى جانب النقلة النوعية التي شهدتها علاقات موسكو والرباط بعد التوقيع على اتفاقية شراكة استراتيجية في العام 2002 في إطار تنويع الشركاء على المستوى الاقتصادي والتجاري.

ورجح مركز السياسات من أجل الجنوب الجديد في تقرير حديث له أن يتأثر المغرب وهو أكبر اقتصاد أفريقي بالأزمة، موضحا أن التأثير المشترك لارتفاع أسعار النفط والحبوب إذا استمر قد يكلف المغرب ما بين 1 و2 في المئة من الدخل الوطني هذا العام.

ومع ذلك سيكون المغرب، حسب ذات المركز، قادرا على تخفيف صدمات هذه الحرب، موضحا أنه اعتمادا على مدى ومدة العقوبات المفروضة على روسيا واستجابتها، يمكن أن تشهد دول أفريقيا ومنها المغرب فرصًا جديدة للتصدير إلى أوروبا وروسيا، مع إعادة توجيه الصادرات بين الدول الأوروبية وروسيا.

نبيل الأندلوسي

المغرب يتريث في التموقع في هذه الظرفية الحساسة

ويعد المغرب شريكا تجاريا كبيرا لروسيا في أفريقيا والعالم العربي حيث تبلغ المبادلات التجارية بينهما قرابة 2.5 مليار دولار سنويا، كما أن موسكو لا تخفي أهمية المغرب وموقعه الجيوستراتيجي كبوابة أفريقية ومعبر رئيسي للواردات الأوروبية، والعكس صحيح بالنسبة إلى المغرب.

وفي هذا الصدد أكد البرلماني السابق نبيل الأندلوسي أن مصالح المغرب اليوم وبشكل عام مرتبطة بالجانب الغربي (الولايات المتحدة ودول الاتحاد الأوروبي) ولكن هذا لا يمنع من أخذ مسافة معقولة والحرص على حماية المصالح الاستراتيجية للمملكة المغربية، مشددا على أن الموقف المغربي بعدم المشاركة في التصويت فيه نوع من الحذر المتفهم والتوجه إلى عدم التخندق والتموقع مع الحرص على إعلان الموقف الواضح والمبدئي.

ومواكبة للتحولات الجيوسياسية التي تعرفها العلاقات الدولية في الفترة الاخيرة، أكد خبراء في العلاقات الدولية أن المغرب يسير في طريق تحقيق مكاسب دبلوماسية وسياسية دون التخلي عنها بالاصطفافات الظرفية، اعتمادا على موقعه الجيوستراتيجي في علاقاته بدول أوروبا والولايات المتحدة وروسيا الذي يعزز موقفه السيادي من أزمة روسيا وأوكرانيا.

ويعتبر إجلاء الآلاف من الطلبة المغاربة الذين استقروا في أوكرانيا للدراسة جانبا من التعاطي الموضوعي للدولة المغربية مع هذه الأزمة، حيث انعكست المواقف السياسية والدبلوماسية المتوازنة للمغرب إيجابا على طريقة تواصل الهيئات الدبلوماسية المغربية مع السلطات الأوكرانية والروسية، ما سهل مغادرة المواطنين المغاربة من منطقة الحرب، حيث أكد وزير الخارجية ناصر بوريطة أن المغرب يعد من البلدان السبّاقة التي اتخذت إجراءات عملية لصالح مواطنيها بأوكرانيا، وبرمجة رحلات خاصة في مدة وجيزة.

دبلوماسية هادئة

أحكام أولية ضد 96 مدانا بهجوم بنقردان في تونس عام 2016

تونس - أصدرت محكمة تونسية أحكاما قضائية أولية ضد 96 مدانا، بينهم 16 بالإعدام، في الأحداث الإرهابية التي شهدتها مدينة بنقردان بمحافظة مدنين جنوبي البلاد عام 2016.

جاء ذلك وفق بيان أصدره السبت، مكتب الاتصال بالمحكمة الابتدائية بتونس العاصمة، اطلعت عليه الأناضول.

وذكر البيان أن "الدائرة الجنائية المتخصصة بالنظر في القضايا الإرهابية بالمحكمة، أصدرت الجمعة، أحكامها في القضية المتعلقة بأحداث بنقردان، وتشمل 96 متهما".

وأوضح أن "الأحكام الصادرة تمثلت في عقوبة الإعدام لـ16 متهما، والسجن مدى الحياة لـ15 متهما، والسجن مدة 30 سنة لمتهمين اثنين".

كما تضمنت الأحكام وفق البيان، "السجن مدة 27 سنة لمتهمين اثنين، والسجن مدة 24 سنة لسبعة متهمين، والسجن مدة 20 سنة لثلاثة متهمين".

وأضاف أن "الأحكام تمثلت أيضا في أحكام بالسجن تتراوح بين 4 سنة و15 سنة في حق باقي المتهمين الذين أدينوا (عددهم 51)".

وأكد البيان أن "النيابة العامة تولّت الطعن في الأحكام الصادرة في هذه القضية وفي حق جميع المتهمين"، دون تفاصيل أكثر حول عريضة الطعن.

ويحق للمدانين الطعن ضد هذه الأحكام في محكمة الاستئناف.

وخلال الفترة من الثاني إلى العاشر من مارس 2016، تعرضت بنقردان لهجوم مسلح من مجموعات إرهابية كانت تحاول السيطرة على المدينة، غير أن المعركة الفاصلة بين الإرهابيين وقوات الأمن والجيش جرت يوم السابع من الشهر نفسه.

> الأحكام الصادرة تمثلت في عقوبة الإعدام لـ16 متهما، والسجن مدى الحياة لـ15 متهما والسجن مدة 30 سنة لمتهمين اثنين

وبحسب السلطات، أسفرت الاشتباكات آنذاك عن مقتل 36 إرهابيا، و12 من قوات الأمن والجيش و7 مدنيين، إلى جانب إصابة 27 شخصا، بين أمنيين وعسكريين، وإيقاف عدد من المسلحين.

ومن حين إلى آخر، تشهد تونس منذ مايو 2011، أعمالا إرهابية تصاعدت وتيرتها بدءا من 2013، راح ضحيتها العشرات من الأمنيين والعسكريين والسياح الأجانب.

حان وقت المحاسبة

العرب
الأحد 2022/03/06
السنة 44 العدد 12348

تدفق النفط الإيراني رهين أشهر بعد أي اتفاق نووي محتمل

النفط الإيراني قد لا يمثل متنفسا للأسواق في الفترة القادمة

يثير التقدم الذي تشهده المحادثات النووية بين إيران والقوى العالمية تساؤلات عن إمكانية التوصل إلى اتفاق جديد مع طهران يتيح إعادة تدفق النفط الإيراني. لكنّ محللين يستبعدون أن يكون ذلك على المدى القريب، مشيرين إلى أن المسألة ستستغرق أشهرا، وحتى إن حدث ذلك فإنه من الصعب أن يشكل النفط الإيراني مخرجا للأزمة التي تشهدها أسواق النفط حاليا.

النفط الإيراني لن يحل مشاكل سوق النفط العالمية

لندن - مع بلوغ المحادثات النووية مع إيران ذروتها مساء الجمعة والحديث عن اجتماع وزاري وشيك، تطفو على سطح الأحداث تساؤلات بشأن الفترة التي سيستغرقها تدفق النفط الإيراني.

وقد يؤدي اتفاق يكبح برنامج إيران النووي إلى رفع العقوبات المفروضة على قطاعها النفطي، لكن محللين قالوا إن الأمر قد يستغرق عدة أشهر حتى تشهد تدفقات الخام الإيراني أي زيادة، وحتى عند حدوث ذلك، ربما لا يوفر متنفسا لأسواق النفط التي تشهد شحا إلا على المدى القصير.

وقفز النفط هذا الأسبوع إلى ما يقرب من 120 دولارا للبرميل للمرة الأولى منذ عشر سنوات مع فرض الغرب عقوبات على روسيا على خلفية تصرفاتها في أوكرانيا، وذلك قبل أن يتراجع الخام عن تلك المستويات المرتفعة وسط آمال في إمكانية الإعلان عن اتفاق مع إيران في غضون أيام.

لكن محللين قالوا إنه حتى إذا تم إبرام اتفاق الأسبوع المقبل، فقد يستغرق الأمر عدة أشهر لتأكيد امتثال إيران ومن ثم رفع العقوبات، مما يعني أنه من المستبعد وصول المزيد من النفط الإيراني إلى السوق حتى مايو أو يونيو.

> شركات التكرير تتجنب النفط الإيراني، وستحتاج شهرين للانتهاء من الترتيبات الفنية لاستئناف الواردات من إيران

فعلى سبيل المثال، عندما تم التوقيع على أول اتفاق بين القوى العالمية الكبرى وطهران في 2015، لم تُرفع العقوبات بالكامل إلا بعد ستة أشهر، وذلك بعد أن تحققت الوكالة الدولية للطاقة الذرية التابعة للأمم المتحدة من الإجراءات الإيرانية المتعلقة بالطاقة النووية.

وقال محللون إن معظم شركات التكرير حول العالم تتجنب أيضا النفط الإيراني منذ عدة سنوات، وستحتاج من شهرين إلى ثلاثة أشهر للانتهاء من الترتيبات الفنية كي يتسنى استئناف الواردات من إيران.

ومع ذلك، عند التصديق على امتثال إيران لأي اتفاق، فلن تحتاج إلى انتظار رفع الإنتاج من حقول النفط لزيادة صادراتها لأن بإمكانها الإفراج عن خام من المخزونات والمساعدة في مواجهة بعض الضغط على أسعار النفط الناجم عن تباطؤ الإمدادات الروسية بسبب العقوبات على موسكو.

وتشير تقديرات شركة البيانات كبلر إلى أن مخزونات إيران العائمة بلغت حتى منتصف فبراير شباط 100 مليون برميل، مما يعني أنها قد تضيف مليون برميل يوميا أو واحدا في المئة من الإمدادات العالمية على مدى ثلاثة أشهر تقريبا، لكن هذه لن تكون سوى زيادة قصيرة الأجل.

ومن المتوقع أن تزيد إيران إنتاجها أيضا بعد التوصل إلى اتفاق، لكن محللين ينوّهون إلى أن زيادة الصادرات من مليون إلى 1.3 مليون برميل يوميا قد تستغرق من ثلاثة إلى ستة أشهر، فيما تستغرق أي زيادة أخرى في الإنتاج سنوات وتعتمد على استثمارات كبيرة في البنية التحتية النفطية المتقادمة.

ومع ذلك، قال محللون إن الخام الإيراني في المخزونات العائمة قد يصل الأسواق سريعا، وإن طهران تعمل على نقله ليكون جاهزا.

وقال المحلل الكبير في كبلر هومايون فلكشاهي "شهدنا قفزة ملحوظة في حجم مخزونات النفط الإيراني العائمة في المياه الصينية، من 7.8 مليون برميل في أوائل يناير إلى 14 مليون برميل الآن. يبدو أن موقعها يشير إلى أنها تنتظر التفريغ في الأيام أو الأسابيع المقبلة".

وقالت سارة فاخشوري رئيسة أس.في.بي إنرجي إنترناشونال إن إيران نقلت أيضا بعض مخزوناتها العائمة من المكثفات من مرسى إلى مرفئها النفطي في جزيرة خرج، في استعداد لتصدير وشيك.

وقالت "إنها تبلغ نحو 20 مليون برميل حتى الآن، وهناك 50 مليون برميل أخرى على الأقل من السائل المخزن متاحة للتصدير الفوري".

وتشير تقديرات كبلر وشركة استشارات الطاقة أف.جي.إي إلى أنه إذا تم التوصل إلى اتفاق نووي في أوائل مارس، ورفعت العقوبات بعد ذلك مباشرة، فإن زيادة الصادرات ستظهر في الغالب اعتبارا من مايو ويونيو.

كما يتوقع إحسان خومان المحلل في بنك أم.يو.أف.جي الحاجة إلى ما لا يقل عن شهرين أو ثلاثة أشهر للتحقق من امتثال إيران، ثم الحاجة إلى شهر آخر لاعتماد الاتفاق دبلوماسيا وتنفيذه.

غير أن مصدرا تجاريا أوروبيا قال إن العملية قد تكون أسرع منها في 2015 "حيث هناك زخم بسبب الأزمة في أوكرانيا" وتعطل صادرات النفط الروسية.

تمتلك إيران رابع أكبر احتياطي نفطي في العالم وتعتمد بشكل كبير على عائدات النفط.

وهوت صادرات النفط الإيرانية، المصدر الرئيسي لدخل الحكومة، من ذروة عند 2.8 مليون برميل يوميا في 2018 إلى 200 ألف برميل يوميا بعد انسحاب الرئيس الأميركي دونالد ترامب من الاتفاق النووي وإعادته فرض العقوبات.

وذكرت وكالة أنباء شانا التابعة لوزارة النفط الإيرانية أن الوزير جواد أوجي تعهد الخميس بأن البلاد "ستصل إلى أعلى طاقة لتصدير النفط في غضون شهر أو شهرين" بعد أي اتفاق نووي.

عملت إيران على زيادة الإنتاج تدريجيا في الأشهر الستة الماضية بدعم ارتفاع حجم الصادرات إلى الصين، وكذلك استعدادا لرفع العقوبات.

وفي الوقت الحالي، تشير التقديرات إلى أن إيران تنتج حوالي 2.5 مليون برميل يوميا، لكن لا يتاح للتصدير سوى نحو 700 ألف برميل عند أخذ الطلب المحلي في الاعتبار، وغالبية ذلك تذهب إلى الصين.

وقال بيورنار تونهاوجن مدير أبحاث أسواق النفط في ريستاد إنرجي إنه يتوقع أن تزيد صادرات إيران من الخام مليون برميل يوميا في فترة ستة إلى تسعة أشهر بعد اكتمال رفع العقوبات.

كما قالت أف.جي.إي إن الأمر سيستغرق وقتا حتى يرتفع الإنتاج وتزيد الصادرات.

وأضافت "ستكون إيران من الناحية الفنية قادرة على زيادة إنتاجها إلى حوالي 3.4 مليون برميل يوميا بحلول أغسطس أو سبتمبر 2022... ثم إلى ما بين 3.7 و3.8 بحلول نهاية 2022".

وعلى المدى الأطول، تأمل إيران في أن تعود شركات النفط الكبرى إليها بعد رفع العقوبات والمساعدة في رفع الإنتاج بحقولها النفطية المتقادمة.

مؤتمر للمياه في العراق يبحث مواجهة الجفاف

بغداد - انطلقت السبت فعاليات المؤتمر الدولي الثاني للمياه في بغداد برعاية رئيس الوزراء العراقي مصطفى الكاظمي تحت شعار "المياه والتغيرات المناخية"، بمشاركة دول عربية وأجنبية.

ويهدف المؤتمر إلى تحقيق التنمية المستدامة للمياه والتنسيق مع دول الجوار المتشاطئة على نهري دجلة والفرات لتقليل الضرر نتيجة شح المياه، إضافة إلى مناقشة التغيرات المناخية وأثرها على الموارد المائية والاستجابة العالمية لهذا الموضوع.

وسيناقش المؤتمر أيضا موضوع تبادل الخبرات، والتغلب على شح المياه، واستدامة المياه السطحية والجوفية، والحفاظ على تنوع الأحياء، وتطور السياسة المائية بما ينسجم مع التطورات المناخية في العالم.

وأكد رئيس الوزراء العراقي في كلمة ألقاها نيابة عنه وزير التخطيط خالد البتال خلال المؤتمر السبت، أن الأمن المائي وتغيرات المناخ يجب أن يوضعا ضمن استراتيجيات الدول.

وأشار الكاظمي إلى أن "العراق أكثر البلدان تعرضا لتأثير التغير المناخي"، مبينا أن "تحسين إدارة الموارد المائية وتقاسمها بشكل منصف يحقق أهداف التنمية المستدامة".

وأضاف "يجب التأكيد على التنسيق بين الدول المتشاطئة لإدارة الأزمات"، مشيرا إلى أن "مجلس الوزراء ألّف لجنة للإشراف على صياغة الورقة الخضراء المتعلقة بالبيئة".

ونهاية العام الماضي أعلن مستشار وزارة الموارد المائية العراقية عون ذياب عبدالله أن إيران قطعت المياه بشكل كامل عن بلاده، مما أثر بشكل مباشر على المناطق الحيوية المهمة في مناطق بمحافظة ديالى (شرقي البلاد)، إضافة إلى شط العرب.

وسبقها إعلان لوزارة الزراعة والموارد المائية في إقليم كردستان العراق أن إيران قطعت إمدادات المياه عن الإقليم بنسبة 100 في المئة.

واعتبرت تصرفات طهران مخالفة للأعراف والمواثيق الدولية، فضلا عن استغلالها المياه في أعالي الحوض وعدم مراعاة مصلحة مناطق المصب، حيث بدأ المخزون المائي يتناقص في سد حمرين المقام على نهر ديالى.

وجراء انخفاض مناسيب المياه الواردة للعراق من كل من تركيا وإيران، فضلا عن انحسار سقوط الأمطار منذ 3 أعوام، كانت وزارة الزراعة العراقية قد أعلنت عن تخفيض خطتها الزراعية للعام الحالي بنسبة 50 في المئة.

وقبل أشهر حذر البنك الدولي من أن العراق قد يشهد انخفاضا بنسبة 20 في المئة في موارده المائية بحلول العام 2050 مع استمرار ظاهرة تغير المناخ، مشيرا إلى الانعكاسات السلبية خاصة على النمو والتوظيف. وأضاف أن "ندرة المياه" بدأت تتسبب في "تهجير قسري محدود النطاق" خاصة جنوبي العراق.

طريقة تطوير التعليم تقوّض ثقة المواطن بالحكومة المصرية

القاهرة - تراهن الحكومة المصرية على خطوات تطوير التعليم التي بدأتها قبل خمسة أعوام وتؤمن بأنها تسير في الطريق الصحيح بعد أن أصابت المنظومة التعليمية حالة من التردي تطلبت إرادة سياسية لإدخال تعديلات جذرية عليها، غير أن الخطوات التي اتخذت لم تقنع قطاعا كبيرا من المواطنين المتفاعلين بشكل مباشر مع العملية التعليمية بما وضع الحكومة أمام رفض شعبي مستمر لتوجهاتها.

حصانة السيسي لا تكفي وزير التعليم لتجنب الانتقادات

ويحتل الحديث عن تطوير التعليم مكانة متقدمة في خطابات الرئيس عبدالفتاح السيسي، ويحرص على توفير حصانة يحتاجها وزيرالتعليم طارق شوقي لمواصلة طريقه القائم على الانتقال من الأسس التقليدية إلى الحديثة من دون توفير الأجواء والآليات التي تضمن النجاح.

وتطرق السيسي خلال مشاركته في مؤتمر "إطلاق المشروع القومي للأسرة المصرية" قبل أيام إلى مشكلات التعليم، قائلاً "حينما تدخلت الدولة لعلاج وحل مشكلات التعليم، الدكتور طارق شوقي خد (أخذ) على دماغه لما مات"، في إشارة إلى حجم الرفض الشعبي لخطوات تطوير التعليم.

وضرب مثلا بالاختبارات التي عقدتها وزارة الاتصالات لتقديم منح لخريجي كليات الهندسة والحاسبات في مجال البرمجة، قائلا إن "البرنامج تقدم له 300 ألف طالب ولم يجتز الاختبارات للتأهل سوى 111 طالبا لسوء مستوى التعليم".

وحاز هذا التصريح على تفاعل كبير في أوساط شعبية وتربوية ترى أن هناك توافقا على ضرورة إصلاح المنظومة التعليمية وتتماشى مع الإمكانيات المحلية التي تضمن نجاح تلك الخطط، وتكون نقطة الانطلاق نحو التطوير متفقا عليها في ظل تجاوز الحكومة لمشكلات عجز المدارس والمعلمين وتدريبهم.

وتكمن أزمة الحكومة مع ملف التعليم في أن الدعم الذي تقدمه لأكبر الوزارات الخدمية ذات الارتباط المباشر بالمواطنين لا يحظى برضاء شعبي، في حين أنها كانت تنتظر أن يلقى ذلك قبولاً بعد أن تعددت المطالبات بهدم المنظومة القديمة، حيث يقيس الرأي العام خطوات الحكومة نحو إصلاح التعليم على مجالات أخرى.

والتقطت دوائر معارضة الفجوة الواسعة بين سياسات تطوير التعليم وبين التطبيق على أرض الواقع للتأكيد على أن المشروعات التنموية والإنشائية تعاني من نفس الفجوة، وما يروج له النظام على أنه نجاح في ملفات مرتبطة بالاقتصاد تتوارى خلفه أزمات عدة، ما يقوض الثقة التي تعمل الحكومة على ترسيخها مع الرأي العام.

ويرمي انخراط النظام المصري في البحث عن حلول للأزمات الاجتماعية القائمة وتوالي المبادرات التي تستهدف تحسين جودة الحياة للمواطنين إلى ترميم جدار الثقة بين الحكومة وفئات على قناعة بأنها ستكون أمام مزيد من الصعوبات الاقتصادية والاجتماعية، الأمر الذي يجعل هناك مخاوف من أن يصبح التعثر على المستوى الخدمي خطراً يحمل داخله جملة من الأبعاد السياسية في المستقبل.

وقال الباحث بالمركز القومي للبحوث التربوية (حكومي) كمال مغيث إن ملف التعليم قاد بالفعل إلى حالة من الغضب الشعبي تجاه أداء الحكومة وقوّض المساعي التي تهدف إلى بناء علاقة قائمة على الثقة مع قطاعات واسعة من المواطنين، وبدت هناك قناعة حكومية وشعبية بأن تغيير الأشخاص ليس الحل والمطلوب هو التراجع عن سياسات تعليمية ضاعفت أعباء الأسرة ولم تحقق المرجو منها على الأرض.

كمال مغيث

> ملف التعليم قاد إلى غضب شعبي تجاه أداء الحكومة

وتسبب انخفاض نسبة النجاح في شهادة الثانوية العامة (البكالوريا)، بعد تطبيق نظام تقويم جديد ترتب عليه هبوط النسب العامة للدرجات، في اندلاع مظاهرات أمام مقر وزارة التربية والتعليم الصيف الماضي واضطرت الحكومة للتدخل من أجل إنهاء الأزمة التي أثارها قرار رفع مصروفات المدارس الحكومية وربطها بتسليم الكتب.

وأوضح مغيث في تصريح لـ"العرب" أن الدعم الحكومي المستمر لملف تطوير التعليم يرجع إلى وجود قناعة من جانب الحكومة بأن تحسين جودة التعليم وفقاً لأسس قديمة تقوم على تحسين أحوال المعلمين وتطوير المدارس أمر بحاجة إلى 20 مليار دولار، في حين أن الدولة ليس لديها الإمكانيات الكافية لذلك في الوقت الحالي.

ولعل ما يشكل عاملاً إضافيًا في تعقيد علاقة المواطنين بالحكومة أن قطاعات واسعة على يقين بأن خطوات التطوير تتماشى مع السياسة العامة للدولة التي تقوم على خفض نسب دعم الخدمات بوجه عام وفقًا لاستراتيجيات تحرير الاقتصاد المصري.

كما أن عدم قدرة شريحة من المواطنين على مجاراة متطلبات التعلم بالأساليب التكنولوجية يقود إلى تقديم الدعم إلى قلة من طلبة الجامعات والخريجين على أن تتكفل النسبة الأكبر من أسر حوالي ثلاثة ملايين خريج كل عام بمسؤولية تعليم أبنائها.

وترى دوائر حكومية أنه لا مجال في ذلك سوى السير في الطريق الذي بدأته قبل سنوات وأحدث بالفعل طفرة على مستوى تقدم التعليم، حسب مؤشرات المعرفة الدولية، على أن يكون هناك تفعيل أكبر على مستوى دور البرلمان والجهات الرقابية للتعبير عن وجهة نظر المواطنين في بعض الخطوات التي لا تمس سياسة التطوير العامة، الأمر الذي ظهرت بوادره في رفض البرلمان تمرير تعديلات قانون التعليم أكثر من مرة.

العرب
الأحد 2022/03/06
السنة 44 العدد 12348

كيف يؤثر التدخل الروسي في أوكرانيا على أطراف فاعلة بالأزمة الليبية

الإرادة الدولية غير مستعدة لاستكمال مشوار الانفراجات حتى نهايته

للأزمة الأوكرانية ارتداداتها في ليبيا

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

فسرت الأزمة المحتدمة بين روسيا والدول الغربية بسبب تدخل الأولى عسكريا في أوكرانيا جانبا مهما من أسباب تكالب الكثير من الدول على الانخراط في أزمات إقليمية مختلفة، فالعدد الكبير من الدول التي تتصارع سياسيا في أوكرانيا أو عليها هو نفسه تقريبا في الأزمة الليبية والتي يدور حولها خلاف مباشر أو غير مباشر.

كان يمكن حل هذه الأزمة قبل أن تتفاقم فصولها وتتداخل مصالح اللاعبين فيها بصور متعددة، وربما كان من الممكن أصلا تجنب حدوثها، لكن نشبت وتصاعدت وجرى النفخ فيها لتكون مجالا لتصفية حسابات بين قوى كبرى ترتاح إلى هذه الصيغة من المواجهات، وتفضل أن تكون خارج أراضيها لتتمكن من الحفر رأسيا وأفقيا بعيدا عنها وتستطيع التعامل معها وفقا لحسابات قد تتغير بين لحظة وأخرى.

ظلت الأزمة الليبية تبرد حينا وتزداد سخونة أحيانا وهي غير بعيدة عن المتغيرات التي تحدث في أزمات أخرى، إذ تحرك القوى الكبرى الفاعلة فيها رقع الشطرنج بالطريقة التي تتناسب مع مصالحها، صعودا أو هبوطا، وظهرت معالم ذلك في ليبيا، فكلما كادت تطوي صفحة قاتمة تطفو أخرى، كأن هناك رغبة دولية لاستمرارها داخل حالة دائمة من الفوران أو المراوحة.

إرادة غير مستعدة

يتأكد كل من يتابع تطورات الأزمة التي شهدت انفراجا مهما على المستوى الأمني واقتربت من انفراجة مماثلة على المستوى السياسي العام الماضي، أن الإرادة الدولية غير مستعدة لاستكمال مشوار الانفراجات حتى نهايته المنطقية.

حدثت انتكاسة عقب تحديد مسار إجراء الانتخابات قبل نهاية العام الماضي بسبب عدم إتمامها وكان يمكن تحاشيها لو أرادت قوى رئيسية وقف العبث بها.

وتكرر المشهد أيضا بعد أن قرر مجلس النواب الليبي اختيار فتحي باشاغا رئيسا للحكومة وانتهاء مهمة حكومة عبدالحميد الدبيبة، حيث أصدرت المستشارة السياسية للأمين العام للأمم المتحدة ستيفاني ويليامز، الجمعة، بيانا يعيد الأزمة إلى نقطة البداية بحجة القيام بوساطة لتقريب المسافات ووضع قاعدة دستورية جديدة، ما يعني بقاء الأوضاع على ما هي عليه، وفتح الطريق أمام استئناف الاقتتال أو التلويح به، والتراجع عن التطمينات غير المباشرة التي قدمت لدعم باشاغا.

وأصدرت خمس دول غربية هي: الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وفرنسا، بيانا أيضا يؤيد خطوات ستيفاني، وزادت بالاستعداد لمحاسبة "من يهدد الاستقرار بالعنف أو التحريض" ورفع هؤلاء العصا عالية بمعاقبة من يعرقل أو يقوض استكمال عملية الانتقال السياسي "داخل البلاد أو خارجها من قبل لجنة الجزاءات الدولية".

تربط القراءة الدقيقة المقطع السابق في بيان الدول الخمس بين ما يجري في أوكرانيا وما يدور في ليبيا، والقاسم المشترك بينهما هو روسيا التي تتدخل عسكريا في البلدين، ولأن التوجهات الغربية حاليا تشحذ كل أدواتها للضغط على موسكو ومحاولة معاقبتها على تدخلها في أوكرانيا، فلن يكون مستبعدا استثمار الأزمة في ليبيا لممارسة أنواع جديدة من الضغوط على موسكو، حيث اعترفت تقارير دولية بوجود الآلاف من العناصر الأمنية التي دفعت بها شركة فاغنر الروسية إلى الأراضي الليبية.

> التخلي الغربي عن الدعم المتوقع لباشاغا يصيب القاهرة بخيبة أمل، حيث كانت الدولة الوحيدة التي أعلنت دعمها لحكومته

العودة إلى المربع القاتم

يصعب القطع بالطريقة التي يمكن توظيفها هنا لاستهداف روسيا، لكن استمرار اشتعال الأزمة الليبية ووقف بوادر التأييد الضمني لحكومة باشاغا يعيدها إلى المربع القاتم، فالبيانات التي صدرت من السفيرة الأميركية ستيفاني ويليامز والدول الخمس والاتحاد الأوروبي بشأن ليبيا جاءت خارج السياق السياسي العام الذي أوحى بإمكانية فتح الطريق أمام تسهيل مهمة باشاغا الجديدة وانتهاء مهمة الدبيبة القديمة.

يستشف من تراجع مجلس الدولة عن تفاهماته مع مجلس النواب حول خطوات خروج حكومة باشاغا إلى النور تعرضه لضغوط غربية لتعديل موقفه، أو على الأقل تركه مفتوحا على احتمال استمرار التأييد أو النكوص عنه.

ويستشف أيضا من الشجاعة التي ظهر بها الدبيبة وتصميمه على البقاء ورفع راية الميليشيات عالية أنه تلقى وعودا بالصمود في موقعه، كذلك فرملة الإشارات التي أرسلت من العديد من الجهات الغربية وأوحت أن باشاغا هو رجل هذه المرحلة.

ينطوي التراجع عن الخطوات التي تساعد على بدء مرحلة جديدة بأن الدول الغربية تنوي الاستفادة من الأزمة الليبية لتحقيق أهدافها في الأزمة الأوكرانية، وإذا كانت هناك فرص عديدة لممارسة ضغوط من خلالها على روسيا فالأمر يمكن أن يكون كذلك مع تركيا ودول جوار ليبيا يمثل لها هذا البلد مصلحة استراتيجية فائقة.

بدأت الولايات المتحدة وغالبية الدول الأوروبية التي تدور في فلكها تنتبه إلى أهمية الأوراق السياسية والاقتصادية التي بحوزتهم لتعديل مواقف الدول التي تدعم روسيا أو تتظاهر بأنها على الحياد، فقد قررت الولايات المتحدة توفير أكبر كتلة تصويتية ضد موسكو لإجبارها على الرضوخ لمطالبها، وتوظيف جميع الأدوات السياسية كي تتمكن من حشرها في زاوية ضيقة وتبدو بلا أصدقاء أو حلفاء أو حتى متعاطفين.

وتعلم الدول الغربية أن تبادل المصالح من الأدوات المهمة في السياسة الدولية والتربيطات التي تكتنفها، ويمكن أن تظهر تجليات ذلك بشكل أكثر وضوحا في ليبيا التي تمثل فضاء رحبا لتركيا بعد أن نشرت قوات عسكرية وعقدت تحالفات أمنية واقتصادية وتريد أن يكون لها مستقبل واعد في أراضيها.

أظهرت أنقرة رفضا للتدخل الروسي في أوكرانيا وأكدت دعمها للموقف الغربي انطلاقا من مشاركتها في حلف الناتو، لكنها تظل غير مضمونة ويمكنها أن تنقلب على هذه المعادلة وتقرر الانحياز فجأة إلى موسكو.

ولذلك يمكن استخدام الورقة الليبية في وجه تركيا لضمان الحفاظ على موقفها الراهن، فالإغراءات والتهديدات التي تبرز من نافذة ليبيا من الوسائل التي تحافظ على جاذبية أنقرة مع الدول الغربية وتردعها عن التفكير في الانحياز إلى روسيا، لأن لها مصالح استراتيجية في ليبيا لا تريد التفريط فيها.

العزف على المصالح

تعطيل مسار باشاغا ودعم الانقسام بينه وبين الدبيبة بذريعة تقريب المسافات وتهيئة الأجواء ووضع قاعدة دستورية وفتح المجال أمام الانتخابات، يتضمن في ثناياه الرغبة في الاستفادة من حالة الاستقطاب الإقليمي والدولي، وهي إشارات حملتها مواقف الأمم المتحدة وأوروبا والولايات المتحدة أخيرا، خاصة أن جزءا من المعركة الدائرة مع روسيا تلعب فيه مسألة التكتلات النوعية والكمية دورا في ضبط توازناته.

ينطبق ما يمكن استخدامه مع تركيا أكثر على مصر التي تتعامل مع ليبيا على أنها دولة غاية في الحيوية بالنسبة إلى أمنها القومي، وتسعى نحو اليوم الذي تشهد فيه أمنا واستقرارا دائمين وتتخلّص من كل ما يمثله من ارتدادات سلبية عليها، ويؤدي تعثر المسار السياسي فيها إلى عودة المخاوف من تجدد الحرب على نطاق واسع وما تحمله في أحشائها من تحديات وعرة على مصر.

يصيب التخلي الغربي عن الدعم المتوقع لحكومة باشاغا القاهرة بخيبة أمل، حيث كانت الدولة الوحيدة التي أعلنت بلا مواربة دعمها لحكومته بناء على تقديرات بأنه الرجل المناسب محليا وإقليميا ودوليا في هذه المرحلة، وجاءت أزمة أوكرانيا لتقلب الأمور رأسا على عقب وتغيّر من خارطة التحالفات، وعادت الدول الغربية لتظهر إرادة باردة للتفاعل مع تسوية الأزمة من أقصر الطرق نجاعة.

تنزعج القاهرة من ترك الأزمة الليبية مفتوحة على سيناريوهات سلبية، وتخشى أن تكون مدخلا لممارسة ضغوط غربية عليها لضمان عدم انحيازها سياسيا إلى موسكو، وقد تجد نفسها عرضة لمساومة بين هذا الموقف ومصالحها في ليبيا، ما يجبرها على اختيار الثانية وما تحمله من تداعيات على أصعدة مختلفة، فالفرص المحدودة قد تجبر الدول على الاختيار بين السيء والأسوأ.

مبعوثو الأمم المتحدة لماذا يفشلون؟

علي الصراف
كاتب عراقي

ما من مبعوث أرسلته الأمم المتحدة إلى دول الأزمات في المنطقة إلا وانتهت مهمته بالفشل. الوحيدة التي ما تزال تتعلق بأذيال الخيبة هي مبعوثة الأمين العام إلى ليبيا ستيفاني ويليامز. وعلى الرغم من أنها عنيدة، لكنها صارت تواجه تحديا يضعها في دائرة الفشل حتى وإن لم تعترف به.

وهناك سبب يحيط جهود المبعوثين الدوليين بالفشل، هو أنهم يتعاملون مع قضايا البلدان التي يتم إيفادهم إليها مثلما يتعامل الشيوعيون مع بلدانهم. أي أن لديهم محفوظات ونصوصا جاهزة، يؤمنون بها، ويحفظونها عن ظهر قلب، ويعتقدون أنها كفيلة بحل أي معضلة.

أنظر في الجُمل التي يدلي بها هؤلاء المبعوثون، وسرعان ما ستكتشف أنهم يحاولون أن يلعبوا دور الحكيم الذي يقدم النصائح للناس.

هم يؤمنون بأن "الانتخابات هي الحل". وأن "الديمقراطية هي أول الطريق لتحقيق السلام"، وأن "الحرب ليست هي الحل"، وأنهم يعملون على "بناء الثقة بين الأطراف المتنازعة"، و"أن الحوار هو أقصر الطرق للتوصل إلى تسوية"، وهكذا، جمل فارغة تتبعها جمل فارغة.

أرسلت الأمم المتحدة إلى اليمن أربعة مبعوثين لم يتقدم أحد منهم بخطوة واحدة إلى الأمام، هم المغربي جمال بن عمر، والموريتاني إسماعيل ولد الشيخ أحمد، والبريطاني مارتن غريفيث والسويدي هانس غروندبرغ.

وأرسلت الأمم المتحدة إلى سوريا الغاني كوفي عنان، والجزائري الأخضر الإبراهيمي، والسويدي – الإيطالي ستيفان دي ميستورا، والنرويجي غير بيدرسون.

وأرسلت إلى ليبيا الأردني عبدالإله الخطيب، والبريطاني إيان مارتن، واللبناني طارق متري، والإسباني برناردينو ليون، والألماني مارتن كوبلر، واللبناني غسان سلامة، وأخيرا الأميركية ستيفاني ويليامز.

واضح أن هؤلاء المبعوثين يأتون من ثقافات مختلفة، ويصدرون عن خبرات دبلوماسية وسياسية وأكاديمية كبيرة أحيانا. ولكنهم يفشلون ليس لأن محفوظاتهم غير صحيحة، بل لأن مقارباتهم للأزمات لا علاقة لها بمعرفة الواقع، ولا تتخذ الموقف السياسي الصحيح منه.

هم بالنسبة إلى هذه الأزمات مجرد أدوات خارجية، تعتبر أن هدفها الرئيسي هو "تحقيق المصالحة بين الأطراف المتنازعة". ويتحركون وفقا لمنظومة مفاهيم مسبقة. وعادة ما يبدأون عملهم بإثارة أجواء من التفاؤل، معتقدين أن هذه الأجواء تساعد في تخفيف الاحتقان. ويذهبون إلى وسائل الإعلام ليقولوا إنهم حققوا تقدما، ولكن "الطريق ما يزال طويلا"، وإن الأطراف المختلفة تؤمن بأن "الطريق إلى الحل يبدأ من تقديم تنازلات". وأن "الاتفاق على أسس مشتركة أمر ممكن من خلال تحييد بعض الخلافات".

غير بيدرسون الآن هو أحد أكبر أمثلة الفشل. فقد اقترح السير وفقا لنظرية "الخطوة مقابل خطوة" لتحقيق التوازن بين رغبة النظام في تخفيف العقوبات عنه، في مقابل تحريك عجلة محادثات اللجنة الدستورية. وحاول، بعبارة أخرى، أن يقدم إغراءات اقتصادية تحفز نفقا من تحت العقوبات الأميركية، لعله يمكن التوصل إلى صيغة مقبولة من الطرفين لإعداد دستور جديد يؤدي إلى أجراء انتخابات حرة وشفافة تحت إشراف الأمم المتحدة، تطبيقا للقرار الدولي 2254.

بيدرسون لم يفهم أبدا أنه يتعامل مع نظام غير قابل للإصلاح، ولا يستطيع أن يقدم أي تنازل.

كان يجب على أول مبعوث دولي إلى سوريا أن يطلب تطبيق قرار دولي صارم لإنهاء الأزمة بموجب الفصل السابع لميثاق الأمم المتحدة، أي بالقوة. وأن يُغذي العزيمة الدولية على التدخل المباشر لإزاحة هذا النظام بالقوة، بدلا من التفاوض معه.

رئيس بعثة الأمم المتحدة في السودان الألماني فولكر بيرتيس بدأ مهمته بالسعي للحوار مع كل طرف على حدة. فهو عندما وجد أن طرفي الأزمة لا يريدان التحاور مع بعضهما، اخترع طريقا يقضي بالتحاور مع الأمم المتحدة على الأقل. فحصد فشلا ذريعا بأن أصبح وجود بعثة الأمم المتحدة نفسه غير مرغوب فيه من كلا الطرفين. لم يتفقا على شيء، ولكنهما اتفقا على رفض الحوار معه.

بيرتيس لم يفهم أبدا أن الجيش استولى على السلطة من دون وجه حق، وقفز من فوق اتفاقات السلام والوثيقة الدستورية، واحتجز رئيس الوزراء واعتقل وزراء حكومته.

وبرغم أن البيانات الرسمية للأمم المتحدة ظلت تطالب بعودة الحكومة المدنية، فقد بقي بيرتيس يتخلف بخطوات حتى عن تلك البيانات. وبدلا من أن يسعى لإيجاد تسوية لاقتسام السلطة، فقد كان الواجب يقتضي منه الوقوف إلى جانب المتظاهرين، وأن يدعو مجلس الأمن إلى رفض التعامل مع الانقلابيين.

> البرلمان الذي انتخب باشاغا يحق له أن يسأل ويليامز: من أنت؟ ومن هي الأمم المتحدة لكي تقف في وجه المؤسسة المنتخبة في ليبيا

لو فعل ذلك، لكانت بعثته في موقف سياسي وأخلاقي أفضل مما انتهت إليه.

ستيفاني ويليامز تقف الآن على رأس الدوافع وراء استمرار دعم الأمم المتحدة لحكومة عبدالحميد الدبيبة. ولسوف ترى أنها، بدلا من أن تكون جزءا من الحل، صارت جزءا من المشكلة.

سوف ترى بأم عينيها، وهي في طرابلس، أن الدبيبة يتسلح بميليشيات ومرتزقة، وأنه كان يلعب دور رئيس "حكومة وحدة وطنية" كمجرد ممثل على مسرح عبث. وقد انتهت ولايته على أي حال، وفشل في إنجاز المهمة الوحيدة التي تكلفت بها حكومته، وهي إجراء الانتخابات في موعدها المقرر في الرابع والعشرين من ديسمبر الماضي. وبرغم أن الاتفاق الذي جاء به إلى رئاسة الحكومة يقضي بعدم الترشح لأي منصب في سلطة ما بعد الانتخابات، فقد ترشح لمنصب الرئيس تعبيرا عن استخفافه بالاتفاق.

سوف يحق للبرلمان الليبي الذي انتخب بالإجماع فتحي باشاغا لرئاسة الحكومة البديلة أن يسأل ويليامز: ومن أنت؟ بل ومن هي الأمم المتحدة، لكي تقف في وجه المؤسسة الوحيدة المنتخبة في ليبيا؟

باشاغا ليس هو القيمة الأهم. الإجماع هو القيمة.

الجهل، والمساومة على الحق، والسعي للمصالحة مع الباطل، هي السبب وراء فشل الأمم المتحدة.

مبادرة ويليامز مثيرة في توقيتها

«الحياد» الأوكراني على طاولة بوتين

جنون بوتين يدفع إلى التخلي عن التسوية

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

ذهب الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بعيدا في المكابرة. لم يعد يعتقد أنّه قيصر روسيا المقيم في الكرملين فحسب، بل يعتقد أيضا أنّه قيصر العالم. سيتمكن بوتين، على الأرجح، بفضل ما يمتلكه من قوّة ناريّة من تدمير أوكرانيا وتشريد الملايين من الأوكرانيين، تماما كما حصل في سوريا حيث شارك بشّار الأسد وإيران في الحرب على شعبها المستمرّة منذ أحد عشر عاما.

لدى بوتين أهدافه في أوكرانيا وهو مصرّ على دخول كييف، يسعى لفرضها على الأوكرانيين وعلى العالم. يريد وضع أوكرانيا تحت الوصاية الروسيّة. تكمن مشكلة الرئيس الروسي في أنّه يخلط، على الرغم من امتلاكه الصواريخ والقنابل النووية، بين القوّة العسكريّة والسياسة. يظنّ أن لديه ما يكفي من القوة العسكرية ما يسمح له بتنفيذ السياسة التي يؤمن بها مع ما يعنيه ذلك من وضع اليد على أوكرانيا. لا يدري أنّه كان في استطاعته، بمجرد حشد جيوشه على الحدود الروسيّة – الأوكرانيّة، التفاوض من مركز قوّة مع الأوكرانيين أنفسهم ومع قوى أوروبية مؤثّرة وحتّى مع الإدارة الأميركيّة من أجل التوصل إلى ضمانات معيّنة كان يبحث عنها.

ما حصل من ردّ فعل في أوروبا كان انقلابا بكلّ معنى الكلمة. تشعر أوروبا بأنّها صارت مهدّدة وأنّ ما كان مسموحا وما لا يزال مسموحا به للرئيس الروسي في سوريا ليس مسموحا في أوكرانيا

تظلّ التسويات السياسية أقلّ كلفة من الحرب. هذا ما لم يدركه في الماضي عقل مثل عقل صدّام حسين لم يتخيّل في أيّ لحظة معنى اجتياح الكويت وجعلها المحافظة العراقيّة الـ19. لم يقدّر في العام 1990 أهمّية الكويت بالنسبة إلى العالم والمنطقة وأنّ ليس مسموحا للعراق التحكّم بثروته النفطية وثروة الكويت في الوقت ذاته. لم يكن صدّام يعرف العالم أو التوازنات في المنطقة.

لم يع أن ضمّ الكويت سيعني تهديدا لكلّ دولة من دول المنطقة، بما في ذلك المملكة العربيّة السعوديّة. هذا ما يفسّر ردّ فعل هاشمي رفسنجاني الرئيس الإيراني وقتذاك. ردّ رفسنجاني على رسالة بعث بها إليه صدّام، طالبا دعم "الجمهوريّة الإسلاميّة" بعيد اجتياحه الكويت، بقوله "(...) أمّا شرف منازلة الشيطان الأكبر (أميركا) في الكويت، فإنّنا نتركه لكم". كان مبعوثا الرئيس العراقي الراحل إلى رفسنجاني طارق عزيز وبرزان التكريتي (الأخ غير الشقيق لصدّام). أبلغني برزان شخصيّا وبالتفاصيل الدقيقة بما دار بين طارق عزيز وبينه في اللقاء الطويل مع رفسنجاني.

على الرغم من وجود فروقات كبيرة بين أوكرانيا والكويت، وعلى الرغم من أن روسيا دولة نوويّة، يظلّ أن ما ينطبق على صدّام ينطبق، إلى حدّ ما، على فلاديمير بوتين الذي لم يقدّر ردّ الفعل الأوروبي على غزوة أوكرانيا.

ثمّة أمور كثيرة أخرى لم يقدرها الرئيس الروسي الذي يعيش في عالم وهمي صنعه لنفسه، على غرار العالم الوهمي الذي حصر بشّار الأسد نفسه فيه وجعله غير مدرك لما حلّ بسوريا والسوريين والأبعاد المترتبة على تدمير المدن السوريّة وتمكّن إيران من إجراء تغييرات ديموغرافية ذات طابع مذهبي في غير منطقة، خصوصا في محيط دمشق وعلى طول الحدود السوريّة مع لبنان. أكثر من ذلك، لم يستوعب بشّار الأسد أن بلده تحت خمسة احتلالات، بما في ذلك الاحتلال الإسرائيلي للجولان والوجود العسكري الروسي بشكل قواعد عسكريّة في حميميم قرب اللاذقيّة، وطرطوس...

عاجلا أم آجلا، سيجد فلاديمير بوتين نفسه مضطرا للاعتراف بأنّ لدى روسيا التي حجم اقتصادها دون حجم الاقتصاد الإيطالي، نقاط ضعف كثيرة. لا تقتصر هذه النقاط على الاعتماد الكلّي للاقتصاد فيها على النفط والغاز وتصدير السلاح، بل أن المجتمع الروسي نفسه صار عجوزا ويعاني من ترهّل لا تعاني منه أيّ دولة أخرى في العالم. فوق ذلك كلّه، تعاني روسيا من تدهور في مجال التغوّل في الاعتداء على الطبيعة من أجل استخراج الثروات الموجودة في باطن الأرض.

ما لا بدّ من ملاحظته أيضا، أن أصحاب الثروات الكبيرة في روسيا، وبينهم عدد كبير من اليهود المنتمين إلى الحلقة المحيطة بالرئيس الروسي، يبحثون حاليا عن طريقة لإنهاء الحرب في أوكرانيا. يبحث هؤلاء عن تسوية معقولة ومقبولة نظرا إلى أن لديهم مصالح ضخمة وعلاقات دوليّة متشعبة بعيدا عن أوهام بوتين وجنونه.

يدرك رجال الأعمال الروس الكبار من أصحاب المليارات الذين لديهم أيضا مصالح مع رجال أعمال أوكرانيين أن التسوية ضروريّة وأنّ كلمة السرّ هي كلمة "الحياد". هل يقبل بوتين بصيغة تحيّد أوكرانيا أم يستمرّ في مشروعه التدميري الذي جعل كلّ دولة أوروبيّة، بما في ذلك إيطاليا البعيدة وحتّى سويسرا، تشعر بأنّ شبح أدولف هتلر عاد وأن القارة العجوز تعيش مرحلة صعود النازيّة في السنوات التي سبقت اندلاع الحرب العالمية الثانيّة منتصف ثلاثينات القرن الماضي؟

لدى الرئيس الروسي ما يدافع به عن موقفه من منطلق أن الغرب لم يحترم، مع انتهاء الحرب الباردة، تعهداته بالنسبة إلى تمدّد حلف شمال الأطلسي (ناتو) إلى حدود روسيا. لكنّ الرد على إخلال الغرب بتعهداته لا يمكن أن يأخذ، في القرن الحادي والعشرين، شكل عمل عدواني يزيل دولة مثل أوكرانيا من الوجود ويهجّر قسما كبيرا من شعبها.

يقول المنطق إن ثمة حاجة إلى تسوية تقوم على "الحياد" الأوكراني. تبدو صيغة التسوية مطروحة على الطاولة أمام بوتين الذي يفترض به إدراك أن ما حصل من ردّ فعل في أوروبا كان انقلابا بكلّ معنى الكلمة. تشعر أوروبا بأنّها صارت مهدّدة وأنّ ما كان مسموحا وما لا يزال مسموحا به للرئيس الروسي في سوريا، ليس مسموحا به في أوكرانيا. في سوريا، جرّب فلاديمير بوتين كلّ أنواع أسلحته بالشعب السوري...

بكلام أوضح، أوكرانيا مسألة حياة أو موت بالنسبة إلى أوروبا التي ترى نفسها في حاجة هي الأخرى إلى تسوية تغني عن مواجهة ستكلّفها، كما ستكلّف الكون، الكثير في عالم تخلت فيه الولايات المتحدة، حيث توجد إدارة حائرة، عن موقع القيادة وتبدو متجهة إلى صفقة مع إيران ليس معروفا ما الذي سيكون تأثيرها على حلفائها في المنطقة.

حرب يدفع المستهلكون ثمنها

فاروق يوسف
كاتب عراقي

كما لو أن أوكرانيا كانت تطعم العالم. كما لو أنها كانت الممر الوحيد لشحنات النفط والغاز إلى عدد كبير من الدول. كما لو أنها أكبر بورصة للأسهم والنقد العالمي. لم يمر أسبوع على الحملة الروسية حتى اضطربت الأسواق وارتفعت أسعار المواد الغذائية الأساسية وقفز سعر النفط واختلت الموازين في البورصات وفي أسواق بيع العملات.

أليست هناك مبالغة في الأمر سعيا وراء التغطية على عملية نهب عالمية تقوم بها الشركات من أجل تعويض خسائرها حين واجه العالم بطريقة مرتجلة جائحة كورونا؟ انتهى زمن كورونا الذي كان زمنا مشؤوما وبدأ زمن أوكرانيا الذي سيكون زمنا متفائلا. ولكن البشرية التي تدفع الآن الثمن مجبرة لم تربح في الشؤم ولن تربح من التفاؤل.

خفة في اللعب من غير مساءلة. اللاعبون الكبار كلهم ينتمون إلى المعسكر الرأسمالي. المشهد السياسي في الدول صاحبة القرار أو ما تُسمّى بالدول الكبرى لا يُبشر بخير. يستثني البعض الصين من منطلق الثقة العقائدية ولكن الصين وهي مصنع العالم هي المستفيدة الأولى من كل هذا الاضطراب. لن تقول إلى أحد "اطمئن". فهي لا تقوى وسط هذه الفوضى أن تلعب دورا مختلفا. هي الأخرى متضررة ومنتفعة. وهي الجهة المؤهلة للرد على العقوبات الغربية التي فُرضت على روسيا. ولكنها تعرف أن أضرار العقوبات ستكون مؤقتة.

يشعر المرء أن حملة بوتين ضرورية لعالم الشركات. وهي لذلك ضرورية للغرب الذي لم يسع لإلغاء أسبابها. كان من الممكن ألا تكون هناك حرب لو تُرك الرئيس الأوكراني غارقا في هذيانه القومي إلى أن يعي أنه بات وحيدا في مواجهة الوحش الروسي الذي يستعد لافتراسه فيصمت ويتوقف عن تحديه الفارغ ويسلم بالحقائق التي تسعى روسيا للإقرار بها. ليس الغرب بريئا في هذه النقطة لا من منطلق سياسي فحسب بل وأيضا من منطلق اقتصادي.

لقد بدأت باسم أوكرانيا حملة استنزاف اقتصادي غير مسبوقة. بعد أكثر من سنتين من الخسائر تسعى الشركات لاسترجاع أموالها. لا يهم إن وقع ذلك عن طريق الكذب والتزييف والمتاجرة بالخوف والترويج لهلع التسوق بين أوساط بشر صدقوا أن الحرب العالمية الثالثة على الأبواب وأن كييف ستكون موقع الصراع النووي.

ومن أجل أن تتخذ الكذبة شكل الحقيقة فإن جهات كثيرة غير متوقعة صارت تساهم في إطلاق بالونات اختبار. أحد أسواق التجزئة في بريطانيا يعلن أنه سيتوقف عن بيع الفودكا الروسية. كان ذلك الإعلان سببا في أن تفرغ مخازن ذلك السوق من ذلك الشراب الكحولي. لو لم تكن الحرب لما كان هذا التحايل. ولكنها حرب على المستهلك الذي لا يملك القدرة عن الدفاع عن نفسه. هناك جمعيات للدفاع عن حقوق المستهلك ولكنها لا تقوى على مواجهة حيلة هي جزء من حرب الأعصاب التي يشنها الغرب على بوتين شخصيا.

"ستقوم الحرب الثالثة". ليس في إمكان جمعيات حماية المستهلك أن تقول "لن تقوم تلك الحرب". لذلك انهار المستهلك وقبله انهارت أسواق المال وأُجهضت محاولات دول أوبك في السيطرة على سعر النفط. كرة الثلج ينبغي أن تتدحرج. يجب ألا تمر الحملة الروسية من غير أرباح. صارت أوكرانيا هي قلب العالم وليس ذلك الجزء المتمرد من روسيا. وهي في حقيقتها التاريخية كذلك. يُقال إنها دولة ذات سيادة وهي حجة مضحكة في عالم تُديره الولايات المتحدة التي غزت العراق عام 2003 وكان دولة مستقلة وذات سيادة.

أوكرانيا ليست كالعراق. ذلك ما يقوله الغربيون وهو صحيح. فالعراق لم يكن ذات يوم جزءا من الولايات المتحدة التي غزته فيما كانت أوكرانيا جزءا من روسيا يوم كان الاتحاد السوفييتي قائما. وهي جزء من روسيا أيضا لأن أوكرانيا اختراع روسي. لو أن تلك الحقيقة التي تخفيها وسائل الإعلام بين السطور قد تم تسليط الضوء عليها وصارت واضحة بالنسبة إلى حشود المستهلكين لما استطاعت الشركات أن تنهبهم بالاشتراك مع الحكومات. ذلك هو الفساد في أعلى صوره.

الإعلام والحكومات والشركات في جبهة واحدة ضد المستهلك المسكين. ذلك الفرد الأعزل الذي صار عليه بسبب الضخ الإعلامي أن يصدق أن بوتين هو السبب في ارتفاع أسعار البقوليات. ما هذا المزاح الثقيل؟

الإعلام والحكومات والشركات في جبهة واحدة ضد المستهلك المسكين. ذلك الفرد الأعزل الذي صار عليه بسبب الضخ الإعلامي أن يصدق أن بوتين هو السبب في ارتفاع أسعار البقوليات. ما هذا المزاح الثقيل؟ لا أحد في إمكانه أن يصدق كل هذا الهراء ولكن الشركات التي دفعت في اتجاه الحرب لا تزال مستعدة لأن تفعل الأسوأ.

الشركات تستغل الحرب لتعويض خسائرها الناجمة عن الجائحة

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الأحد 2022/03/06
السنة 44 العدد 12348

انتهت مهلة الانتظار في تونس وأزفت ساعة الإصلاحات

الشباب في تونس سئم الوعود

أسامة رمضاني
رئيس تحرير العرب ويكلي

لمدة عقود سعى الشباب العاطل عن العمل في تونس لتجاوز مرحلة الانتظار التي بقي فيها عالقا لا يستطيع أن يبدأ حياته. مثله في ذلك مثل الكثيرين من شباب المنطقة الباحث عن الشغل لمدة سنوات دون جدوى. وضع هؤلاء الشباب التونسيين العالقين يعكس في الواقع أوضاع بلادهم الصعبة وهي تبحث لها عن مخرج من النفق الاجتماعي والاقتصادي الذي تردت فيه.

فبالرغم من وعود الساسة بخلق مواطن الشغل وإصلاح التوازنات التنموية في البلاد، بعد الإطاحة بنظام زين العابدين بن علي في يناير 2011، فإن بطالة الشباب بقيت تراوح مكانها إن لم تكن تفاقمت. وتبلغ اليوم نسبة بطالة خريجي الجامعات ما لا يقل عن 30 في المئة، بعد أن أدى تباطؤ نسق النمو الاقتصادي خلال العقد الماضي إلى حد جعل السلطات غير قادرة على تشغيل أصحاب الشهادات الجامعية أو غيرهم في الوظائف الحكومية. ونتيجة لغياب الإصلاحات، شمل الركود الاقتصادي القطاع الخاص أيضا.

ويحاول صندوق النقد الدولي وغيره من المانحين اليوم الضغط على تونس من أجل إدخال إصلاحات عميقة تتضمن التخفيض من نسبة الموازنة المخصصة لرواتب الموظفين الحكوميين، وهي نسبة تعد من أعلى النسب في العالم. ويبلغ عدد الموظفين في الإدارات العمومية حوالي 650 ألف موظف يضاف إليهم قرابة 150 ألفا يشتغلون في الشركات المملوكة من الدولة، في بلاد لا يبلغ عدد سكانها 12 مليون نسمة. وبالرغم من كلام المسؤولين من الطرفين عن حصول "تقدم" بعد الجولة الأولى من المفاوضات بين الحكومة وصندوق النقد الدولي فإن الأشهر القادمة لن تكون سهلة بأيّ مقاييس بالنسبة إلى تونس.

فتداعيات الأزمة الأوكرانية، بما في ذلك ارتفاع أسعار النفط وكلفة الواردات من الحبوب سوف تفاقم المصاعب الاقتصادية. في الأثناء وفي طريق التفاوض مع صندوق النقد الدولي حول قرض بقيمة حوالي 4 بليون دولار تحتاج رئيسة الحكومة نجلاء بودن إلى ترتيب رزمة من الإصلاحات توفق بين مطالب الصندوق وضرورة اجتناب أيّ اضطرابات اجتماعية قد تنتج عنها. وقد تتضمن الإجراءات المزمع اتخاذها حسبما تسرّب من أخبار تقليص وتوجيه تدخل الدولة في مجال التعويض عن الأسعار والاستغناء عن أعداد من الموظفين الحكوميين بطريقة أو بأخرى.

وقد ورثت النخبة الحاكمة اليوم عمّن سبقوها الانعكاسات المترتبة عن التطلعات غير الواقعية التي خلقتها وعود الحكومات المتلاحقة. وفي فترة ما كان الرئيس الراحل الباجي قايد السبسي يعتقد أن تونس، باعتبار ريادتها لانتفاضات الربيع العربي سنة 2011، كانت تستحق الحصول على مساعدة في حجم خطة مارشال (التي انتفعت بها أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية)، لكن شيئا من ذلك لم يتحقق.

ويتذكر الجميع في تونس كيف أن بعض الحكومات التي تولت السلطة في العشرية الماضية وعدت بكل بساطة بمراجعة المنوال الاقتصادي والاجتماعي للبلاد. ولكنها عوضا عن ذلك استعملت القروض الخارجية لتسديد رواتب الموظفين ودفع التعويضات عن الأسعار و دعم الشركات المملوكة من الدولة والمتعثرة ماليا وليس لإصلاح الاقتصاد. خلاصة الأمر أن الشعبوية سيطرت على قرارات الساسة أكثر من اعتبارات الموازنة، مما انجر عنه ارتفاع ضخم للدين العمومي أرهق كاهل الدولة.

> أطراف خارجية تأمل في أن يستغل سعيد الشعبية التي يحظى بها للدفاع عن الإصلاحات. لكن يبدو أنه يركز بشكل أكبر على الاستفتاء

وقد يكون أفضل مثال عن الطاقات المهدورة للبلاد هو هجرة الآلاف من كوادرها وكفاءاتها كل سنة إلى أوروبا وبلدان الخليج العربي، فيما يحاول آلاف آخرون المغادرة بطريقة غير قانونية عبر البحر.

ومن المفهوم أن تثير الإصلاحات المحتملة مخاوف لدى الكثير من القطاعات. أول أسباب ذلك هو أن تدخل الدولة في مختلف المجالات الاجتماعية والاقتصادية على مدى عقود خلق تقاليد يصعب تغييرها أو تعويضها. والاعتبار الآخر هو التوجس من الارتدادات الاجتماعية للإصلاحات الاقتصادية. وقد أكد بعدُ الرئيس قيس سعيد أن تحميل الفقراء ضريبة الإجراءات التقشفية "خط أحمر" لن يسمح بتجاوزه. والمانحون الأجانب أنفسهم واعون بأن البلاد تقف على أرضية هشة اعتبارا لأن العاطلين عن العمل والطبقات الفقيرة، التي أضحت تضم أعدادا ممن كانوا ينتمون سابقا للطبقة الوسطى، غير مستعدين لتحمل كلفة الإصلاحات.

ولن يكون من اليسير على الحكومة التوصل إلى توافقات حول الإجراءات التقشفية مع الاتحاد العام التونسي للشغل. وهذه المنظمة العريقة وواسعة التأثير عقدت الشهر الماضي مؤتمرها العام الذي جددت فيه الثقة في أمينها العام نورالدين الطبوبي. ومن المؤكد أن الاتحاد سوف يدافع عن حقوقه المكتسبة على مدى السنين ويحاول تجنيب منظوريه وطأة الإصلاحات الاقتصادية. ولا تدري قيادة المنظمة الشغيلة ذاتها إلى أيّ حد سيقبل أعضاؤها بالتضحيات التي قد تطلب منهم في إطار الاتفاق مع صندوق النقد الدولي، ولكنها أعربت عن معارضتها للمس بالتعويضات عن الأسعار أو أيّ قرار يعني تخلي السلطات عن المؤسسات المملوكة من الدولة.

وتمثل الساحة السياسية في تشظيها الحالي تحديا إضافيا أمام السلطات. وليس من المستبعد اعتبارا لتصريحات الطبوبي الأخيرة أن يحاول اتحاد الشغل لعب دور نشط للتأثير في الحياة السياسية. فقد أكد عقب انتهاء مؤتمر منظمته النقابية أن وقت النزاعات السياسية "قد انتهى" وحان وقت "التنازلات".

ولن يكون من السهل له أن يضع كلامه موضع التنفيذ. وسوف يكون من الصعب تكرار تجربة 2013 عندما استطاع اتحاد الشغل ضمن منظمات المجتمع المدني التي كانت منضوية آنذاك تحت لواء "الرباعي الوطني للحوار" إنقاذ البلاد لمّا كانت على شفا الحرب الأهلية بعد اغتيال الزعيمين السياسيين شكري بلعيد ومحمد البراهمي. وإن كللت مساعي الرباعي عندئذ بالنجاح ونالت تونس بفضلها جائزة نوبل للسلام فإن الثمار السياسية لذلك الجهد سرعان ما تبخرت في جو الصراعات المتجددة.

> أفضل مثال عن الطاقات المهدورة للبلاد هو هجرة الآلاف من كوادرها وكفاءاتها كل سنة إلى أوروبا وبلدان الخليج، فيما يحاول آلاف آخرون المغادرة بطريقة غير قانونية عبر البحر

أما على الساحة الخارجية فتأمل بعض الأطراف أن يستغل قيس سعيد الشعبية التي يحظى بها للدفاع عن الإصلاحات المؤلمة المزمع تنفيذها. ولكنه في الوقت الحالي يبدو أن رئيس الدولة يركز بشكل أكبر على إجراء الاستفتاء الشعبي والانتخابات البرلمانية السابقة لأوانها قبل شهر ديسمبر القادم مثلما أعلن عن ذلك. أما بخصوص الإصلاحات الاقتصادية فيبدو أن الأولوية بالنسبة إلى سعيد هي للإجراءات الاجتماعية التي من شأنها التخفيف من وطأة الإصلاحات الاقتصادية على الطبقات الشعبية، مثل الترفيع في الأسعار أو تجميد الرواتب والأجور في الوظائف الحكومية.

أما على صعيد العلاقات الدولية فقد أظهرت الدول الغربية تذبذبا في المواقف تجاه سعيد منذ إعلانه للإجراءات الاستثنائية التي حل بمقتضاها البرلمان وتولى تسيير البلاد اعتمادا على مراسيم رئاسية. ورغم الضغوطات من الخارج فإن سعيد لم يغير من مواقفه ولا يبدو أنه سيفعل ذلك في المستقبل المنظور. ومن المحتمل أن تبقى الدول الغربية في حالة انتظار تجاه ما قد تفرزه التطورات القادمة في البلاد، ومن المستبعد جدا أن تلجأ لتكثيف الضغط بواسطة التقليص من مساعدتها لتونس. فمثل ذلك الإجراء من شأنه المس من استقرار البلاد وتغذية المشاعر المعادية للغرب ممّا سوف يقوّي من موقع قيس سعيد على الصعيد الداخلي.

في الأثناء، يرى معظم التونسيين أن الحل لأزماتهم يبدأ من تونس وينتهي فيها، من ذلك بناء التوافقات التي من شأنها درء أيّ اضطرابات يمكن أن تثيرها الإجراءات المؤلمة المرتقبة، بعد أن بلغت كلفة بطالة الشباب وسوء التصرف الاقتصادي والخلافات السياسية حدا تجاوز طاقة البلاد على الاحتمال.. أو على الانتظار.

المأزق الإيراني الجديد

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

"في أوكرانيا، نحن نؤيد وقف الحرب. نريد أن تنتهي الحرب هناك"، "نحن نعارض الحرب والدمار في كل مكان في العالم، هذا موقفنا الثابت".

إن صاحب هذا الكلام ليس مصلحا إنسانيا معروفاً بتكريس حياته للدعوة إلى نبذ العنف، وإلى الوسطية والمحبة والتسامح والسلام، بل هو المرشد الإيراني علي خامنئي الذي لا يؤمن إلا بالقوة والغزو والاحتلال والقتل والاختطاف والاغتيال. واسألوا العراقيين والسوريين واللبنانيين واليمنيين والفلسطينيين عن سجله الإنساني الأخلاقي أو سجل حرسه الثوري ومخابراته وميليشياته الإرهابية التي لا ترحم.

ورغم أنه حاول أن يجعل نفسه في هذا التصريح الجديد الصادم محايدا وعقلانيا بقوله إن "جذور الأزمة الأوكرانية هي سياسات الولايات المتحدة والغرب"، و"إن النظام السياسي الأميركي يتغذى على أزمات مختلفة في أنحاء العالم"، إلا أن موقفه هذا، بكل الحسابات والمقاييس، خيانةٌ للخبز والملح ولرفقة السلاح والصواريخ والمفاعلات النووية والصفقات والإعانات، وغدرٌ من الوزن الثقيل بالحليف الروسي الذي حمَّل نفسه ودولته أحقاداً أميركية وأوروبية عميقة ونوايا عدوانية مبيَّتة من أجل إرضاء النظام الإيراني وإعانته على البقاء رغم كل الضغوط.

ألم يغامر بإدخال جيوشه الجرارة إلى سوريا لنجدة إيران بعد أن أوشك الثوار السوريون أن يقتحموا قصور حليفها السوري بشار الأسد، ودحر ميليشياتها وتحرير سوريا من التبعية والقهر والاستعباد؟

والذي لا يمكن إنكاره أن روسيا بوتين، منذ أول موجة عقوبات أميركية، بدأت تتصرف بانتهازية نفعية مع إيران، بوجهين، الأول بتأييد النظام الإيراني سياسيا، والدفاع عن جرائمه في المحافل الدولية، والمطالبة برفع العقوبات عنه، والثاني بدعمه عسكريا واقتصاديا وتكنولوجيا تحوَّل سنة بعد سنة إلى أهم عوامل بقاء النظام.

ولو دققنا في عدد استخدام روسيا بوتين لحق النقض (الفيتو) في مجلس الأمن الدولي لحمايته، وللدفاع عن سياساته العدوانية في العراق ولبنان واليمن وفلسطين، لأدركنا أن بوتين، إلى يوم غزو أوكرانيا، لم يدخر وسعاً في تبرئة النظام الإيراني، وإنكار اعتداءاته على حقوق الجيرة، وتحدياته لجميع القوانين الدولية والأخلاقية والدينية، والتي لا تحتاج إلى دليل.

وأكثر ما جمع بينهما، ومعهما كوريا الشمالية والصين، هي مقولة "عدو عدوي صديقي". فكلاهما يحركه الكره للولايات المتحدة والسعي لهزيمتها، أو لضرب نفوذها في العالم.

وتصف الحكومة الروسية إيران دائما بأنها "الجارة الحسنة" التي يجب تأمين احتياجاتها الضرورية العسكرية والتكنولوجية والاقتصادية والسياسية لمواجهة الضغوط التي تتعرض لها.

ورغم أن جمهورية إيران الإسلامية التي تنادي بتصدير ثورتها الإسلامية إلى كل بلاد المسلمين لنصرة المستضعفين وتحريرهم من قوى الظلم والاستعباد والاستكبار، إلا أنها اختارت السكوت عن الحرب الروسية الأولى ضد المسلمين في الشيشان بين عامي 1994 و1996 وعبرت بوضوح يومها عن دعمها لوحدة أراضي روسيا في مواجهة الحركات الانفصالية.

وقد عملت روسيا بمساعدة إيران على إنهاء الحرب الأهلية التي اندلعت في 1992 – 1997 في طاجيكستان. كما دعم النظامان الروسي والإيراني معا قوات المعارضة الأفغانية ضد طالبان (1999 – 2013).

وفي البحث عن سر هذا الموقف الذي كافأ به حليفه الروسي في مأزقه الأوكراني نجد أن النظام الإيراني فوجئ بحجم الرفض الدولي الرسمي والشعبي للغزو الروسي لأوكرانيا، وأدرك أن انحيازه لبوتين، في هذه المرحلة، يعني خسارته للاتفاق مع الولايات المتحدة على الملف النووي، ثم رفع العقوبات الذي انتظر بلوغه عشرات السنين.

> المرشد الإيراني يؤمن بأنه لا يستطيع التخلي عن علاقاته الواسعة مع موسكو، كما لا يريد الآن وفي هذا الظرف بالذات، أن يغرد بعيدا عن بوتين وقريبا من بايدن

كما أن وقوفه بصراحة ووضوح مع الولايات المتحدة وأوروبا وحلفائها وإعلان معارضته لروسيا يعني خسارتة للجدار الذي يسند ظهره إليه، خصوصا مع صعوبة التنبؤ بحقيقة الموقف الصيني المتأني والمتأرجح من الغزو الروسي والاتكال عليه.

ويحذّر المحلل الإيراني رضا نصري من أن إطالة أمد الحرب في أوكرانيا سيزيد من التوتر في فيينا. وقال بحسب وكالة "إسنا" إنه "إذا تسببت الأزمة بكارثة إنسانية، نتيجة المواجهة العسكرية بين الغرب والروس، فسيصبح التعاون في فيينا مهدداً".

وما يؤكد حرج النظام الإيراني الذي يفسره التصريح "العقلاني" للمرشد علي خامنئي أن وكالة "نور نيوز" شبه الرسمية ذكرت أن الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي قال للرئيس الروسي فلاديمير بوتين في اتصال هاتفي يوم الخامس والعشرين من فبراير بعد يوم واحد من بدء الغزو إن "توسع حلف شمال الأطلسي يمثل تهديدا خطيراً لأمن المنطقة واستقرارها".

كما غرّد وزير الخارجية حسين أمير عبداللهيان، قائلا "إن أزمة أوكرانيا متجذرة في استفزازات الناتو"، لكنه دعا إلى حل الأزمة دبلوماسيا. أما وكالة أنباء جمهورية إيران الإسلامية الرسمية فقد حملت مسؤولية الحرب للجانبين.

إذن، فالمرشد الإيراني يؤمن بأنه لا يستطيع التخلي عن علاقاته الواسعة مع موسكو، كما لا يريد الآن وفي هذا الظرف بالذات أن يغرد بعيدا عن بوتين وقريبا من بايدن، واختار أن يبقى على التل في انتظار الأسابيع، وربما الشهور القادمة ليتأكد من المنتصر ومن المغلوب، ثم يتخذ الموقف المناسب الجديد.

وهذه هي الانتهازية التي يسمونها براغماتية، ولتذهب المبادئ والقيم الأخلاقية إلى الجحيم.

خامنئي أمام خيارين كلاهما مر إزاء حرب أوكرانيا

العرب
الأحد 2022/03/06
السنة 44 العدد 12348

هامش المناورة ضيق لدى الأوروبيين في مواجهة روسيا

ماذا سيختار الغرب: الحظر الجوي أم المزيد من العقوبات أم الدبلوماسية

مع استمرار الحرب في أوكرانيا رغم جولات المحادثات التي دارت بين المسؤولين الروس والأوكرانيين، تعود إلى واجهة الأحداث التساؤلات عن الخيارات التي يملكها الغرب والأوروبيون خاصة لدفع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين إلى التراجع وسحب قواته من أوكرانيا، لكن يبدو أن الغرب يقف أمام معادلة صعبة في هذا الصدد.

أوروبا حائرة إزاء طريقة ردع بوتين

واشنطن – مع دخول الغزو الروسي لأوكرانيا أسبوعه الثاني تتزايد التساؤلات عن خيارات الأوروبيين لمواجهة رفض موسكو التراجع ووقف الهجمات، حيث يبدو هؤلاء أمام معادلة صعبة جدا بين فرض حظر جوي على أوكرانيا أو تشديد العقوبات أو انتهاج الدبلوماسية لوقف النزاع.

ورغم فرض عقوبات غير مسبوقة وتقديم دعم هائل لأوكرانيا، لم ينجح الغربيون في وقف الغزو الروسي لهذا البلد بل يتوقعون "الأسوأ"، غير أن خياراتهم لتشديد الضغط على الرئيس الروسي فلاديمير بوتين تبدو معقدة.

وتوعدت دول مجموعة السبع الجمعة بفرض "عقوبات صارمة جديدة" على روسيا، وتعهد وزير الخارجية الأميركي أنتوني بلينكن بـ"إبقاء الضغط" إلى أن "تنتهي الحرب".

وليام تايلور

لست واثقا أن المزيد من العقوبات سيقنع بوتين بالانسحاب

صموئيل شاراب

جو بايدن يجدر به مواصلة المحاولات لإقناع بوتين بالتراجع

وحذر الأميركيون قبل بدء الغزو بأنهم سيفرضون تدابير تكون "في أعلى السلم منذ البداية"، وهذا ما فعلوه.

فقد فرضوا مع حلفائهم الأوروبيين عقوبات غير مسبوقة على النظام المالي الروسي وعلى الأثرياء المقربين من الكرملين، كما حظروا صادرات التكنولوجيا الحيوية وفرضوا حصارا جويا على روسيا. وأقصيت روسيا من المسابقات الرياضية الكبرى وانسحبت العشرات من الشركات من البلد.

وقال السفير الأميركي السابق في كييف وليام تايلور "أنا من الذين كانوا يعتقدون أن التهديد بالعقوبات سيكفي لردع الرئيس بوتين" عن شن هجومه العسكري "لكن هذا لم يكن الحال".

وأضاف "لست واثقا بالتالي أن المزيد من العقوبات سيقنعه بالانسحاب".

وتم حتى الآن تحييد قطاع الطاقة نسبيا، لكن العديد من البرلمانيين الأميركيين يطالبون الرئيس جو بايدن بحظر واردات النفط الروسي إلى الولايات المتحدة.

ورد الرئيس الأميركي "لا شيء مستبعدا".

كما يطالب بعض الصقور بقطع النظام المالي الروسي تماما عن باقي العالم، في وقت حرص الغربيون على استهداف المصارف الأقل ارتباطا بقطاع المحروقات.

وحذر بلينكن من حلول تخفض العرض العالمي للطاقة وتتسبب تلقائيا بزيادة في "الأسعار في محطات الوقود" في الولايات المتحدة وأوروبا. وحذر من أن هذا ليس من "المصلحة الاستراتيجية" للغرب، موحيا بأن واشنطن تراهن بالأحرى على مفاعيل العقوبات المفروضة حاليا.

ويطالب الرئيس الأوكراني فولوديمير زيلينسكي الحلف الأطلسي بفرض منطقة حظر على المجال الجوي لبلاده للحد من الغارات الروسية على كييف ومدن أخرى.

غير أن هذا يبقى في الوقت الحاضر خطا أحمر يرفض الحلف الذي لا تنتمي إليه أوكرانيا اجتيازه، وهو ما أثار غضب كييف حيث لم يتردد زيلينسكي ليل الجمعة – السبت في التنديد برفض الناتو فرض حظر على المجال الجوي لبلاده.

وأوضح الأمين العام للحلف ينس ستولتنبرغ أن "الوسيلة الوحيدة لفرض منطقة حظر جوي هي إرسال طائرات مقاتلة للحلف الأطلسي إلى المجال الجوي الأوكراني، ثم إسقاط طائرات روسية لفرض احترامه"، محذرا بأن ذلك سيؤدي حتما إلى نشوب "حرب شاملة في أوروبا".

ويعتقد العديد من الخبراء بالتالي أن الأميركيين والأوروبيين سيلتزمون بهذا الموقف طالما أن النزاع يبقى محصورا في أوكرانيا، أو أقله خارج دول الحلف، مشيرين إلى مخاطر نشوب مواجهة نووية.

غير أن بعض الجمهوريين في الكونغرس الأميركي مثل آدم كينزينغر وروجر ويكر يعتبرون أنه سيتحتم على الحلفاء في نهاية المطاف أن يجازفوا ويفرضوا منطقة حظر جوي.

وإزاء رفض اعتماد مثل هذا الحل، تلتزم واشنطن والاتحاد الأوروبي في الوقت الحاضر بمواصلة تسليم أسلحة إلى القوات الأوكرانية، مع ارتفاع أصوات مطالبة بإمدادها بأسلحة أكثر هجومية مثل مقاتلات سوفييتية الصنع تملكها بعض دول أوروبا الشرقية ويعرف الطيارون الأوكرانيون كيفية قيادتها وتشغيلها.

ودعا السناتور الأميركي ليندسي غراهام صراحة إلى اغتيال بوتين، معتبرا أن "أحدا داخل روسيا" يجب أن يقدم على ذلك.

غير أن البيت الأبيض رد الجمعة بشكل قاطع "لا ندعو إلى اغتيال قائد بلد أجنبي ولا إلى تغيير نظام. هذا لا يمثل سياسة الولايات المتحدة".

لكن بعض المراقبين يرون أن العقوبات، بخنقها الاقتصاد الروسي واستهداف أصول الأوليغارشيين من أوساط الكرملين الذين حققوا ثروات طائلة، قد تدفع بعض أفراد الدائرة المقربة من بوتين إلى الانقلاب عليه.

ورأى مدير معهد الأبحاث الاستراتيجية في المدرسة الحربية في فرنسا جانجين فيلمر أن ثمة "احتمالا كبيرا بحصول انقلاب من داخل القصر أو تمرد أوليغارشي".

لكن هذا الاحتمال يلقى تشكيكا لدى البعض ومنهم صمويل شاراب من مؤسسة راند للدراسات. وقال إن "الأفراد الذين يمكنهم التأثير على مجرى الأمور في غاية الولاء وهم في موقعهم تحديدا بسبب ولائهم".

ويرى شاراب أنه يجدر بجو بايدن مواصلة المحاولات لإقناع بوتين بالتراجع على غرار ما يفعله الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون والمستشار الألماني أولاف شولتس بالاستناد إلى "توازن القوى" الناجم عن العقوبات.

وقال "قد يكون هذا مستحيلا، لكنني أعتقد أنه أفضل ما يمكننا القيام به في الوقت الحاضر".

ويراهن البعض على خصم آخر للولايات المتحدة والأوروبيين هو الصين.

وقال دبلوماسي غربي إن "بكين مستاءة بشكل متزايد من الوضع"، مشيرا إلى أنها "لم تهب لنجدة الاقتصاد الروسي والتعويض عن مفاعيل العقوبات. بإمكان الصين من الآن فصاعدا لعب دور أكثر فاعلية من الغربيين في الكواليس".

استخدام ورقة سويفت يضر بروسيا.. لكن شظاياه ستطال أوروبا

بروكسل – اتخذ الاتحاد الأوروبي، بالتنسيق مع الولايات المتحدة وبريطانيا وكندا، قرارات عقابية بحق روسيا، الأربعاء الماضي، منها استبعاد الأخيرة من نظام التحويلات المالية العالمي (سويفت) كرد فعل على العملية العسكرية التي أطلقتها ضد أوكرانيا.

ويُستهدف بهذه العقوبات إعاقة الصادرات والواردات الروسية عن طريق تصعيب قيامها بأيّ معاملات مالية في أيّ مكان بالعالم.

وكانت روسيا قد تعرضت لتهديد مشابه عام 2014، وأعلن وزير المالية الروسي آنذاك ألكسي كودرين أن قرار استبعاد بلاده من نظام سويفت يمكن أن يؤدي إلى انكماش الاقتصاد الروسي بنسبة 5 في المئة.

ومع أن وضع الاقتصاد الروسي في 2022 أفضل منه عام 2014، إلا أنه من المتوقع أن يؤدي قرار الاستبعاد من نظام سويفت إلى خسائر كبيرة للاقتصاد الروسي.

ووفقاً لتعبير وزير المالية الفرنسي فإن قرار الاستبعاد من سويفت يعد بمثابة "سلاح نووي مالي"، ويمكن للدول الغربية بواسطته أن تسبب مشاكل كبيرة لروسيا في المدفوعات الدولية والصادرات والواردات.

لكن القرار سيؤثر بالسلب أيضاً على الدول التي اتخذت القرار، لذلك نرى أن هذا القرار غير مدعوم بالإجماع في الاتحاد الأوروبي.

مثلاً ترى برلين أن "سلاحاً مؤثراً كهذا سيؤثر على رجال الأعمال والصناعة في ألمانيا، لذلك فإن الاستبعاد من نظام سويفت يجب أن يكون ضد أهداف معينة وأن هذا – السلاح النووي المالي – يجب ألا يستخدم إلا في محله وألا يُسمح بأن يضر هذا القرار بالاقتصادات الأوروبية".

وستضر هذه العقوبات بالدول المعتمدة على روسيا في الحصول على أيّ سلعة، وسيضطر رجال الأعمال في الدول التي اتخذت القرار للبحث عن وسائل بديلة وأنظمة أكثر تعقيداً لمواصلة التجارة مع روسيا.

أما الحل الآخر فسيكون البحث عن بديل لروسيا إلا أن كل الدول وفي مقدمتها الدول التي تدعم القرار، تعلم جيداً أنه لا يمكن العثور على بديل لروسيا على المدى القريب، وخصوصا في مجال الطاقة.

وتأسست جمعية الاتصالات المالية العالمية بين البنوك (سويفت) في بلجيكا عام 1973 بهدف إجراء معاملات تحويل النقد الأجنبي بين البنوك. وهي نظام تواصل يربط 11 ألف بنك ومؤسسة مالية في أكثر من 200 دولة ومنطقة.

وكان قد تم استبعاد إيران من النظام، ما سبّب أضراراً بالغة لتجارتها. وأُدرجت روسيا بنظام سويفت عام 1989، وتشكل معاملاتها اليومية 1.5 في المئة من إجمالي المعاملات بالنظام.

تتصرف بعض الدول في الاتحاد الأوروبي بحذر فيما يخص العقوبات على روسيا بسبب كون الأخيرة هي المورّد الأول للبترول والغاز الطبيعي لدول الاتحاد الأوروبي. لأن المعاناة مجدداً من ارتفاع أسعار الطاقة ستكون نزيفا جديدا للاقتصادات التي بدأت في التعافي مؤخرا من تداعيات كوفيد – 19.

الحكومات لا ترغب في توقف إمدادات الطاقة أو زيادة جديدة في الأسعار. وكانت ألمانيا من بين الدول التي وقّعت على قرار استبعاد روسيا من نظام سويفت على استحياء، وذلك بسبب ارتباطها بروسيا في الحصول على الطاقة ومخاوفها من قيام روسيا بالرد على هذه الخطوة.

وهُددت روسيا في السابق بالاستبعاد من نظام سويفت بسبب أزمة شبه جزيرة القرم وفي عام 2014، وطورت روسيا نظام الدفع الخاص بها وبدأت باختبار هذا النظام واستخدامه مع بعض الدول. ومع استبعادها من نظامي فيزا وماستركارد عام 2016 بدأت روسيا باستخدام نظام بطاقات الدفع الخاص بها "مير" إلا أن هذين النظامين لم يُستخدما إلا على نطاق ضيق.

وضمت القائمة غير النهائية التي أعلنتها الولايات المتحدة والمفوضية الأوروبية عدة بنوك روسية هي "بنك أوتكريتي" و"نوفيكومبنك" و"روسيا بنك" و"برومسفياز بنك" و"في تي بي" و"في إي بي" وسوفكوم بنك". وتم التخطيط لتقليل الضرر الواقع على الدول المتعاملة مع روسيا في قطاع الطاقة ولذلك استثنيَ "سبير بنك" الذي يعد أكبر بنك في روسيا و"غازبروم بنك" لأهميته بالنسبة إلى قطاع الطاقة.

ومن المتوقع أن تتأثر تركيا من الأزمة بين روسيا وأوكرانيا في قطاعات الطاقة والسياحة والتجارة. إلا أنه ليس من المتوقع توقف التجارة معها تماماً لأنه من الممكن مواصلة عمليات الدفع بواسطة البنوك الروسية المستثناة من القرار.

> قرار الاستبعاد من سويفت بمثابة «سلاح نووي مالي»، ويمكن للدول الغربية بواسطته أن تسبب مشاكل كبيرة لروسيا

وشكل السياح الروس والأوكرانيون نحو 27 في المئة من إجمالي السياح الذين زاروا تركيا عام 2021. ومن المحتمل أن يتأثر عدد السياح كثيراً في صيف العام الجاري بسبب تأثر اقتصادي البلدين من الحرب.

كما سيؤدي ارتفاع أسعار النفط والحبوب إلى تأثر تركيا التي تعاني من نسب تضخم مرتفعة.

وسيسبّب الاستبعاد من نظام سويفت مشاكل كثيرة لروسيا فيما يخص بمدفوعات الصادرات والواردات، وسيزيد من تكلفة البحث عن طرق بديلة. إلا أن استثناء بعض البنوك الروسية من القرار سيخفف من التأثيرات السلبية.

ومن ناحية أخرى سيضر بالاقتصاد الروسي بسبب تراجع الصادرات وفرض قيود على احتياطات البنك المركزي الروسي على الساحة الدولية، ما سيؤدي ذلك إلى تراجع العملة الروسية وارتفاع التضخم.

ولن يقتصر تأثير العقوبات على الاقتصاد الروسي فقط بل سيؤثر أيضاً بطريقة غير مباشرة على الدول التي لديها تجارة مع روسيا. مثلاً سيؤدي ارتفاع التضخم في روسيا وتراجع قيمة الروبل إلى انخفاض في عدد السياح الروس القادمين إلى تركيا. كما سيؤدي ارتفاع أسعار الطاقة والحبوب إلى زيادة تكلفة استيرادها على الاتحاد الأوروبي وبالتالي زيادة التضخم.

وإذا ما قابلت روسيا قرار الاستبعاد من نظام سويفت بتقليص صادراتها، سيؤثر ذلك على الإنتاج والصناعة وسيرفع التكلفة ويسبب مشاكل في أمن الطاقة بالدول التي تتعامل مع روسيا وفي مقدمتها تركيا ودول الاتحاد الأوروبي.

وسيوضح إعلان القائمة الرسمية للبنوك الروسية المستبعدة من نظام سويفت، مدى الضرر الذي سيلحق بروسيا ودول أخرى من هذا القرار.

وبالنظر إلى العقوبات الإضافية نجد أن روسيا وكل النظام العالمي الذي يتاجر معها سيتأثر من قرار الاستبعاد من نظام سويفت.

وعلى الاتحاد الأوروبي أن ينتبه جيداً حتى لا تؤثر هذه العقوبات بصورة مباشرة على صادرات البترول والغاز الطبيعي الروسية. لأنه لن يرغب أحد في أن تقوم روسيا بقطع إمدادات الغاز والنفط اللذين تصدرهما واللذين لا يمكنها الحصول على ثمنهما بسبب قرار سويفت. ولذلك من الصعب وصف قرار استبعاد روسيا من نظام سويفت بشكل حذر بأنه "سلاح نووي مالي".

سلاح ذو حدين

العرب
الأحد 2022/03/06
السنة 44 العدد 12348

مسؤول جزائري يؤمّن مداخيل الدولة لكنه بلا قرار سياسي

توفيق حكار

رجل ظلّ تدفع به أزمة الغاز إلى الأضواء

تعيين حكار على رأس شركة سوناطراك يجسّد التوجه البراغماتي للسلطة في التعاطي مع قطاع النفط

سوناطراك التي يديرها حكار ترتبط بالتجاذبات السياسية والدبلوماسية للبلاد، أكثر من ارتباطها بالطابع الاقتصادي

صابر بليدي
صحافي جزائري

ارتبطت شركة سوناطراك النفطية الحكومية المحتكرة لقطاع الطاقة في الجزائر، منذ تأسيسها، بالتجاذبات السياسية والدبلوماسية للبلاد، أكثر من ارتباطها بالطابع الاقتصادي الاستراتيجي، ولذلك ظلت الكوادر التي تعيّن على رأسها تحمل دلالات سياسية أكثر منها اقتصادية، لأنها تحتلّ منصبا يمثل وزنا تنصهر فيه السياسة والاقتصاد وقوت الجزائريين بشكل عام.

الأزمة المتفجرة في أوكرانيا بين الروس والأوروبيين، دفعت بسوناطراك وعلى رأسها حكار إلى الواجهة، كفاعل أساسي في ارتداداتها على قطاع الطاقة في العالم، فصارت قراراته محل متابعة قوية للرأي العام

توفيق حكار الذي يدير سوناطراك حاليا يعتبر من الجيل الجديد للكوادر الفنية التي تخرجت من الجامعة الجزائرية، قبل أن تستكمل دراساتها العليا في الخارج، ولأنه تدرج في مختلف المسؤوليات داخل الشركة قبل أن يتم تعيينه العام 2020 مديرا لأول شركة في البلاد وثامن شركة في القارة السمراء، فإنه يعدّ من أكبر المطلعين على خبايا القطاع، لكن القرار في الغالب ليس في يده، ولذلك يُدعى بـ"الرئيس التنفيذي".

ولأنه من الصعب التمييز بين السياسي والاقتصادي في قطاع النفط وشركة سوناطراك تحديدا، فإن حضور الوزير يكون أكثر وضوحا، رغم أن دائرته الوزارية لا تتضمن في الغالب إلا الشركة المذكورة، وهو ما يمنح المجال لمديرها قبل الوزير لشغل الأضواء، إلا أن أهمية النشاط الذي تعتمد عليه البلاد في تأمين 98 في المئة من مداخيلها، تسحب المدير إلى الخلف، وتعطي المجال للسياسيين ليدلي كل منهم بدلوه في شؤون القطاع.

مواجهة حرب الغاز

الأزمة التي اندلعت في أوكرانيا بين الروس والأوروبيين، دفعت بسوناطراك وعلى رأسها حكار إلى الواجهة، كفاعل أساسي في ارتدادات الأزمة على قطاع الطاقة في العالم، وصارت قرارات الرجل محل متابعة قوية للرأي العام، بما فيها دوائر القرار السياسي في الداخل والخارج.

وهو ما يكرر محطات حساسة مرت بها الشركة خلال العقود الماضية، فرغم تواري رؤسائها عن الأضواء لصالح السياسيين، إلا أنهم ظلوا يمثلون مؤشرا قويا على توجهات القرار النفطي في البلاد، إذ أن مجرد تعيين هذا المدير أو تنحية ذاك، يحمل دلالات يمكن البناء عليها في استشراف المرحلة وقراءة قرارات السلطة.

وقد مثّل تعيين حكار على رأس شركة سوناطراك قبل عامين، التوجه البراغماتي للسلطة في التعاطي مع قطاع النفط، والاعتماد على ابن القطاع من أجل النهوض به، لأنه أفضل عارف بشؤون الشركة والقطاع عموما، قبل أن تزجّ به الأزمة الأوكرانية إلى الصدارة، وتحول النفط والغاز إلى سلاح استراتيجي تتصارع عليه أطراف الأزمة وتمتد شظايا المعركة إلى كل ما هو طاقوي في العالم.

ولأن حكار كادر فني بامتياز، فقد عهد إليه الرئيس عبدالمجيد تبون، بمهمة وضع الأرضية اللازمة لإصلاح قطاع الطاقة ومناخ الاستثمار، إلى جانب الإشراف على الشركة التي تمثل مصدر قوت الجزائريين، لكن صروف الأزمة تدفع به للخوض في ما هو أعقد وأصعب حتى وهو مكره على ذلك.

فتحت ضغط الوضع المستجد في أوكرانيا الذي وضع الجزائر بين مطرقة الروس وسندان الأوروبيين بسبب إمدادات الغاز، اضطر الرجل إلى التنصل من تصريح عريض أدلى به لصحيفة محلية، وأوعز للشركة لإصدار بيان، يبدو أنه موجه للسفير الروسي في الجزائر، لتقديم تطمينات يحملها إلى موسكو، بعد صدور ما يزعج روسيا على لسان المدير في الصحيفة المذكورة.

زلة لسان أم خطأ استراتيجي

عكس البيان الذي أصدرته شركة سوناطراك، لتوضيح التصريح المنقول عن حكار، حول إمكانية ضخ بلاده لكميات إضافية من الغاز إلى أوروبا، إذا تراجعت الإمدادات الروسية، حساسية الموقف الرسمي في الجزائر، من التأويلات التي فسرت تصريحات متواترة حول المسألة، فهي إذ تعمل على استغلال الأزمة الأوكرانية تجاريا لتحقيق عائدات إضافية للخزينة العمومية، لا تريد المجازفة بموقف سياسي قد يكلفها كثيرا من طرف شريكها الاستراتيجي والتاريخي.

بدا تصريح حكار عاديا بالمنطق الاقتصادي والتجاري، فكل شركة منتجة تبحث وتستغل فرص تسويق منتوجها، وهو ما عبّر عنه بالاستعداد والعمل على تلبية طلبيات جديدة من المستهلكين، لكن القرار السياسي كان أكثر وقعا على توجهات الشركة، ولذلك أرغم على لملمة تصريح خُشي منه أن يكون مصدر استفزاز لصديق ليس كباقي الأصدقاء.

ونفت شركة سوناطراك، في بيانها، أن يكون الرئيس المدير العام توفيق حكار، قد أدلى بالتصريحات التي تصدرت صحيفة "ليبرتي" المحلية الناطقة باللغة الفرنسية، وأن ما ورد في الحوار المنشور في عددها الصادر الأحد الماضي، هو "تأويل خاطئ وتحريف وتلاعب بالتصريح".

ويبدو أن الحسابات السياسية والدبلوماسية، دخلت على خط التصريح، لتفادي أي تأويل من طرف القيادة الروسية في موسكو، على اعتبار أن التسويق المستنبط من تصريحات مسؤولين جزائريين حول العمل على تعويض النقص الذي قد تخلفه الإمدادات الغازية الروسية إلى أوروبا، يعتبر مساسا غير مسبوق بما يوصف بـ"العلاقات التاريخية بين الجزائر وروسيا"، وقد يكلف الموقف الجزائر الكثير، إذا سارت في نهج الاستغلال التجاري للأزمة على حساب القواسم السياسية بين البلدين، رغم أن تصريح الرجل الأول في سوناطراك أكد ما أدلى به الرئيس تبون، بمناسبة احتفالية تأميم قطاع المحروقات في الرابع والعشرين من فبراير الماضي، والذي تضمن استعداد الجزائر لضخ كميات إضافية من الغاز لتلبية طلب الأوروبيين، وهو ما يوحي بالإجماع داخل القرار السياسي في البلاد على استغلال فرصة الأزمة الأوكرانية لتحقيق عائدات إضافية لخزينة الدولة.

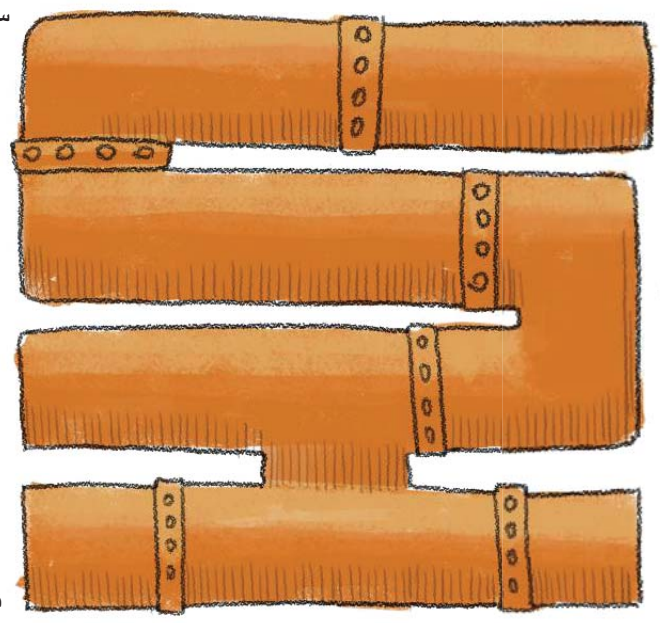

غير أن توجه القيادة السياسية للبلاد إلى هذا المنحى قد يرتّب على البلاد رد فعل غير محسوب من طرف الروس الذين يدرجون الجزائر في خانة الشركاء الاستراتجيين في المنطقة، على اعتبار أن هذا الموقف يعمل على تقويض أهم ورقة في يد الروس داخل الأزمة المتفاقمة مع الأوروبيين بسبب أوكرانيا، لأنه متى ما تمكنت أوروبا من تأمين حاجياتها الطاقوية والغازية تحديدا استطاعت تحقيق نصر استراتيجي على موسكو. ولكن يبدو أن قوله إن "سوناطراك مستعدة لتزويد أوروبا بكميات إضافية من الغاز عبر أنبوب الغاز الرابط بين الجزائر وإيطاليا، في حال تقلصت الصادرات الروسية بسبب الحرب في أوكرانيا»، وأن شركته هي ممون غاز موثوق بالنسبة إلى السوق الأوروبية وهي مستعدة لدعم شركائها على المدى البعيد في حال تأزم الوضع، قد ترجم ضغوطا أوروبية تعرضت لها من أجل رفع كميات إنتاجها من الغاز، وقد سبق للحكومة الأميركية أن فتحت قنوات اتصال مع شركات غربية عاملة في الجزائر، تطلب منها العمل على مضاعفة الإنتاج والتصدير، وهو ما اعتبر تجاوزا للأعراف الدبلوماسية كون الاتصال لم يمر عبر الحكومة الجزائرية، الأمر الذي يبدو مؤشرا على استعداد الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأميركية، لتوظيف كل وسائل الضغط حتى ولو كانت على حساب سيادة الدول على ثرواتها الباطنية.

يُشهد لحكار أنه رغم الظروف الاقتصادية والمالية الصعبة التي تمر بها البلاد خلال السنوات الأخيرة، إلا أنه استطاع بالدفع بسوناطراك إلى رفع القدرات الإنتاجية للنفط بـ14 في المئة وبـ23 في المئة بالنسبة إلى الغاز خلال العام الماضي، كما اقتربت الكميات المصدرة من السقف المسموح به من طرف الأوبيك (980 ألف برميل يوميا)، ويطمح إلى بلوغ سقف المليون و200 ألف برميل يوميا في المدى المتوسط.

الجزائر تجد نفسها اليوم بين مطرقة الروس وسندان الأوروبيين، بسبب إمدادات الغاز، الأمر الذي دفع حكار إلى التنصل من تصريح عريض وهام أدلى به، مقدّما المزيد من التطمينات إلى موسكو

أين تبدأ الصلاحيات وأين تنتهي

ويشير ما يبدر عن حكار إلى شخصيته البراغماتية الباحثة عن فرص توسيع نشاط الشركة والحفاظ على المصالح الاستراتجية، فالتعهدات التي أعلن عنها ربطها بالالتزامات القائمة، مذكّرا بأن توافر كميات إضافية من الغاز الطبيعي أو الغاز المسال مرتبط بتلبية الطلب في السوق الوطنية والالتزامات التعاقدية مع الشركاء الأجانب، وأن سوناطراك تتوفر على قدرات تصدير غير مستغلة عبر أنبوب "ترانسميد"، الرابط بين الجزائر وإيطاليا مرورا بتونس، والتي يمكن أن تُستغل في زيادة الكميات نحو أوروبا.

وعن الآفاق الجديدة لشركته، يكشف حكار أن الغاز الجزائري يمكن أن يصل إلى دول ليست مربوطة بأنبوبي الغاز، من خلال الغاز المسال المنقول في سفن، وأن أوروبا هي السوق الطبيعية والمفضلة بالنسبة إلى الجزائر التي تساهم حاليا بـ11 في المئة من احتياجات أوروبا إلى الغاز، كما أن الشركة على وشك العودة للاستثمار في ليبيا وموريتانيا والنيجر.

ومهما كان أداء رؤساء شركة سوناطراك، وحكار واحد منهم، فإن الرأي العام في الجزائر لم يعاتب أيا منهم، عكس الكوادر الأخرى التي تشرف أو أشرفت على شركات حكومية أخرى، وذلك بسبب إجماع على أن رأس سوناطراك رغم أنه يسهر على تأمين مداخيل الدولة، إلا أن القرار السياسي ليس في يده.

وحتى حين طالت حملة محاربة الفساد العديد من هؤلاء خلال السنوات الماضية، إلا أن الأضواء انصبت على مراكز القرار السياسي أكثر ما تركزت عليهم، لأنه في الغالب عادة ما يكون أداة طيعة في يد السلطة التي عينته في المنصب، ويكون هو الحلقة الأضعف في المعادلة، حيث سرعان ما تتم التضحية به مهما كانت قوته ونفوذه.

ومع ذلك تبقى الظروف التي تحيط بالقطاع من حين إلى آخر، هي التي تسوق لهذا المدير أو ذاك، فإدارة الشركة في أوضاع مستقرة، ليست كمثيلتها في الظروف المضطربة التي عاشها القطاع، بداية من قرار التأميم العام 1971، أو قرار حظر النفط العربي، أو تهاوي الأسعار أو ملفات الفساد وحتى الأزمات الدولية والإقليمية المؤثرة في مسار قطاع الطاقة العالمي.

من الواقع إلى التجريد

عبدالوهاب عبدالمحسن

رسام الماء والأرض والهواء

فاروق يوسف
كاتب عراقي

كانت الطبيعة هي المصدر الأول للرسم. حين لجأ إليها الانطباعيون ووقفوا أمامها بشكل مباشر فإنهم فعلوا ذلك من أجل أن يختبروا قدرتهم على استخراج تجليات جمالها المختلفة. ولكن أحدا منهم لم يزعم أنه قبض على الخلاصة بالرغم من أن نقاد الفن في وقت متأخر صاروا يزعمون بأن كلود مونيه فعل ذلك.

لم يمش المصري عبدالوهاب عبدالمحسن في أثر مونيه حين سعى إلى أن يستلهم جمال الكائنات الحية ممزوجا بجمال الطبيعة ليصل إلى نتائج مختلفة عن تلك التي وصل إليها الرسام الفرنسي الذي مهد في نهاية حياته لولادة التجريد الصافي.

قرب الماء

نزعة عبدالمحسن إلى التجريد تظل مرتبطة بأثر الكائنات الحية التي تعيد المتلقي إلى مفردات المكان الذي عاش فيه الفنان ووقع تأثيرها النفسي على مزاجه التعبيري. بصريا كانت مدينة كفر الشيخ حاضرة في جميع لوحاته. وكان الماء هو سيد العناصر المرئية التي شكلت عالما لإلهامه.

"قرب الماء" هو عنوان معرضه الذي أقامه العام الماضي. لم يكن في حاجة إلى أن يخبرنا بأنه كان دائما يقف قريبا من الماء وهو يرسم. كل لوحاته مترعة بالماء. كان احتجاجه على تجفيف البحيرات الطبيعية قد دفعه إلى إقامة ملتقى فني باسم بحيرة البرلس يقوم فيه الرسامون بالرسم على الحيطان والقوارب.

نزعة عبدالمحسن إلى التجريد تظل مرتبطة بأثر الكائنات الحية التي تعيد المتلقي إلى مفردات المكان الذي عاش فيه ووقع تأثيرها النفسي على مزاجه التعبيري

يعيد عبدالمحسن اكتشاف علاقة الإنسان بالطبيعة. وهي علاقة بصرية تقوم على أساس ما يراه الإنسان وما يتذكره من الطبيعة في الوقت نفسه. علاقة يسترسل الرسام في تصفح دفاترها. كل صفحة تشير إلى تطور أسلوبه، ليس في النظر إلى الطبيعة وحسب، بل وأيضا في التفكير في الرسم باعتباره وسيلة لتهذيب صورة الطبيعة والوصول بها إلى نقطة فنائها التجريدي.

صياد طيور أسطورية

يلتقط عبدالمحسن المعاني الأسطورية التي تختفي وراء المفردات المتاحة من الطبيعة ليرسم تلك المفردات كما لو أنه لم يستعرها من الطبيعة. فهو يعيد صياغة أشكالها. الطيور مثلا. إنها طيوره التي لا تجد لها مثيلا إلا في رسومه بالرغم من أنه كان قد تذكرها أو حلمها. هنا تتنافس الطبيعة والطفولة على الإلهام.

لا أعتقد أن الرسام قد خسر شيئا من خزينه البصري. إنه يعمل على انتقاء ما ينفعه في توسيع مداه البصري وعالمه الحلمي. بشفافية وأناقة ورقة قدم ما كان رآى وما كان تذكره بطريقة كما لو أنه لم يكن من قبل. تلك هي صور من اختراعه لم يرها أحد من قبل. صور بقدر ما هي مسلية بقدر ما هي عميقة في أثرها النفسي.

لقد وصل إلى التجريد بعد أن جمع بين ما كان قد رآه وما كان قد تذكره كما لو أنه الشيء نفسه. لن يسعه أن يلجأ إلى النسيان وهو الذي اختار أن يتذكر لأنه من خلال فعل التذكر يمارس إنقاذ حياة كائنات حية كثيرة.

ولد عبدالمحسن عام 1951 في الدقهلية بمصر. درس الغرافيك "الحفر الطباعي" في كلية الفنون الجميلة بجامعة الأسكندرية، ونال عام 1993 شهادة الماجستير من جامعة حلوان وكان عنوان أطروحته "فن الغرافيك المعاصر في الأسكندرية". ثم حصل على الدكتوراه في الفلسفة في الفنون الجميلة من جامعة حلوان وكان موضوع بحثه هو "رؤية تشكيلية معاصرة لرسالة الغفران لأبي العلاء المعري من خلال فن الحفر". بعدها قام بتدريس الغرافيك وعمل في هيئات الثقافة.

أقام أول معارضه عام 1982 في قصر الثقافة بكفر الشيخ. بعده أقام أكثر من عشرين معرضا توزعت بين مدن مصرية ومدن عالمية كان أهمها باريس، جدة، بازل وعمان. حملت معارضه عناوين ذات دلالات تشير إلى العلاقة التعبيرية بالمكان ومن حوله الكائنات مثل "مدن الملح"، "البحيرة"، "غواية الأرض"، "قرب الأرض"، "ناس"، و"نقار الخشب". وهو ما يسلط الضوء على عالمه الذي انفتح على الوضع البشري من خلال العلاقة بالمكان لا من جهة مفرداته الجمالية بل من جهة كونه حيزا لاختبار الجمال الخفي لكائنات عابرة تترك صورتها على سطح الماء من غير أن تترك أثرا ماديا يشير إليها.

الصوت باعتباره إلهاما

"الزائل"، "الهارب"، "الغامض"، "المتلاشي"، كلها صفات تشير إلى العالم الذي يسعى عبدالمحسن إلى أن يهبه شيئا من البقاء من خلال رسمه. لذلك نراه مثلا قد عنون أحد معارضه بـ"نقار الخشب" ذلك الطائر الذي يسبقه فعله إلينا. قبل أن نراه يصلنا صوته. سيكون علينا أن نفكر مع الفنان في إمكانية أن يحل الصوت محل الجسد باعتباره مصدرا لإلهام محلق. نشأ مرتبطا بمكان يحفظ للطبيعة صفاتها فكان دفاعه عن الطبيعة هو نوع من الإخلاص للبيئة التي احتضنته ورعته إنسانا وفنانا. وإذا كان عبدالمحسن لم يلجأ إلى الرسم الواقعي أو حتى الانطباعي فلأن علاقته بالطبيعة لم تكن قائمة على التفاعل البصري وحده، بل هناك تفاعل روحي غالبا ما كان سببا في أن تتخذ طريقة نظر الفنان إلى الطبيعة طابعا تجريديا. إنه يفكر في الطبيعة كما لو أنه يبصرها.

"المياه، الأرض، الهواء" أما الطيور فإنها زائر مؤقت. تلك هي عناصر المشهد الذي يستلهمه عبدالمحسن. ولكنها عناصر مطلقة، سيكون من الصعب على الرسام أن يتعامل معها بطريقة تناسب مزاجه المتغير. ذلك سؤال ستكون الإجابة عليه صعبة لو أن الرسام لم يكن ابن تلك الثلاثية في تبدل أحوالها. فمثلما احتوته يوما ما فإنه صار يجرب العمل على احتوائها متذكرا النعمة الخفية التي كانت في جزء منها مستلهمة من العيش على حافة الإلهام.

لا يحتاج عبدالمحسن إلى العودة إلى آثار الفراعنة لكي يكون مصريا. لقد وهبته الطبيعة موهبة استثنائية تمكنه من اكتساب هويته المحلية من غير حاجة إلى استدراج الماضي إلى فخ شخصي. كانت الطرائد كلها حاضرة أمامه. ولقد حضر الدرس كله أمامه نقيا من غير أي شوائب. ما كان عليه سوى أن يتبع خيال يديه. لقد رسم ما أحب. منذ طفولته وهو يرى البحر ويلمس بقدميه الأرض ويحلق في الهواء. كان تلميذا وفيا ومخلصا لعناصر إلهامه.

عبدالمحسن رسام مصري من نوع مختلف. هو ابن الطبيعة لكنها طبيعة تشبه المزاج الشعري. لقد اختار أن ينحاز إلى الجغرافيا على حساب التاريخ. إنه ابن الجغرافيا التي وهبته الكثير من تفاصيل رحلته في الزمن. ذلك هو زمنه الخاص. وإذا كان الفنان قد استلهم الكثير من الصور من ذكرياته البصرية فلأنه رأى صورته وهي تنعكس على سطح البحيرة المهددة بالجفاف.

بالنسبة إلى الرسام ليس هناك ما يهبه مساحة لكي يقف بين الإلهام وفكرته أو لنقل الصورة التي تعبر عنه. حين يصفو إلى نفسه فإنه سيكون على يقين من أنه وهب المكان الذي احتضنه الجزء الأعظم من موهبته حين التقط هواءها وكان وفيا لمزيج أرضها ومائها. لم تصف لوحاته ما جرى غير أنها ارتقت به أعلى من النسيان. عبدالوهاب عبدالمحسن يمس الأرض بقوة الهواء الذي تدفعه مياهه.

العرب
الأحد 2022/03/06
السنة 44 العدد 12348

المثقف المرتجل كاتب مستعجل يريد حضورا لافتا من دون تأسيس

د. هيثم الزبيدي
كاتب عراقي

عالم الدراسات العليا في الاختصاصات العلمية في الغرب عالمان. واحد نظري، يذهب بعيدا في استكشاف آفاق جديدة في الرياضيات والعلوم والهندسة. والآخر تطبيقي، يستعير ما يناسبه من الإنجازات النظرية للعالم النظري ليجد لها تطبيقات في عالم اليوم.

أذكر مثالا بسيطا لتبيان الفرق. مطلع القرن العشرين أنجز عالم بريطاني بحثا في فرع من الرياضيات. قال "يا لها من رياضيات جميلة. للأسف مكانها الكتب". تلك الرياضيات عادت مع نهاية السبعينات لتجعل السيطرة على مكوك الفضاء ممكنة، وهي التي تتحكم اليوم بمقاتلة متطورة مثل أف – 35 أو أساس توجيه حزمة البلازما في المفاعل الاندماجي المستقبلي. استل المهندسون تلك الرياضيات من الكتب وطوّروها وسخّروها كي تصبح قابلة للتطبيق ودفع التكنولوجيا خطوات كثيرة وكبيرة إلى الأمام.

عندما تدرس علما تطبيقيا، يطلب منك المشرف أن تتعلم فرعا محددا من العلم وتشتغل عليه. عندما تغامر وتذهب إلى الأصعب، وهو التطوير النظري، فإن المشرف يرمي عليك كتابا أو اثنين ويقول لك: اذهب وتأسس نظريا بشكل متين، ثم عد إليّ. كأنه يقول لك: تعال قابلني بعد ستة أشهر أو سنة كي نرى ماذا فهمت وماذا لم تفهم.

ما علاقة هذا بالثقافة؟ ربما لا توجد علاقة مباشرة، لكن الإسقاط وارد.

ثمة ارتجال كبير في عالم الثقافة. وللإنصاف، فإن هذا الارتجال موجود في الغرب كما هو في الشرق. الفرق ربما يكمن في أن الغرب لا يأخذ المثقفين المرتجلين بجدية. هم ظواهر عابرة لا قيمة لها. أيّ محاولة لمنحهم قيمة أكبر من قيمتهم تقابل بسخرية.

الارتجال في الثقافة شائع في الشرق، أو عالمنا العربي تحديدا. الارتجال في الثقافة يعني أن المثقف العربي لم يجد "مشرفا" يرمي عليه الكتب التأسيسية في الفكر والثقافة ليطالعها ويفهمها قبل الخوض بالشأن الثقافي. هناك بالطبع عالم واسع من النصابين ومدعي المعرفة ممن يسلقون/ يسرقون من الثقافة الغربية بلغاتها المختلفة ويعيدون تقديمها لعالمنا العربي على أنها إنجازاتهم. ليس من باب الصدفة أن الكثير منهم ظل يهرب من السرقة من اللغة الإنجليزية لشعبيتها في عالمنا. بقي يهتم بـ"الاستعارة" من لغات أخرى. هؤلاء في تراجع لاعتبارات تتعلق بالفضائح التي صار من السهل الترويج لها عبر مواقع الإنترنت أولا، ومنصات الشبكات الاجتماعية ثانيا.

الارتجال في الثقافة أن المثقف العربي لم يطالع ويفهم الكتب التأسيسية في الفكر والثقافة قبل الخوض بالشأن الثقافي

المثقف المقصود هو كاتب مهتم، لكنه مستعجل. يريد حضورا لافتا من دون تأسيس، على الأقل بالحدّ الأدنى.

لا أعرف كم كتابا تأسيسيا في المسرح والنقد المسرحي تكفي لتأسيس مثقف يستطيع أن يكتب بموضوعية في النقد المسرحي. لا شك أن المهمة ستكون أكثر تعقيدا في نقد الفنون التشكيلية. هل لاحظتم الوصفيات المسهبة في الكتابة عن الأعمال التشكيلية والمعارض، وكثرة الأسماء، غثها وسمينها، التي تُرمى في سياقات النصوص "النقدية" التي نقرأها في الموضوعات المنشورة في المجلات الثقافية والصفحات المخصصة للثقافة في الصحف؟ لا يتردد "ناقد" سينمائي في أن يرسل مقالة إلى جريدة عن فيلم جديد وتكون عمليا رواية لحكاية الفيلم يقدمها بفقرة وينهيها بفقرة، وهاكم نقدا سينمائيا.

مراجعة الكتب في عالمنا مأساوية. لم أر الكثير من المراجعات الحقيقة للكتب. في أحسن الأحوال فإن ما يسمى مراجعات نقدية للكتب هي عملية استعراض لمحاور الكتاب. في أسوئها، نقرأ "وفي الفصل الثاني قال الكاتب بلا بلا بلا" وفي فقرة أخرى "وفي الفصل السابع يتحدث الكاتب عن بلا بلا بلا". عمليات قص ولصق من النصوص بلا حد أدنى من الاهتمام. لا أعرف إن كانت هناك كتب تأسيسية في فن مراجعة الكتب، لكن التجارب العالمية موجودة. مثقفنا لا يعرف الإنجليزية، حسنا: ماذا عن تجربة مجلة "الكتب.. وجهات نظر" عن دار الشروق؟ صحيح أنها توقفت، لكن أعدادها موجودة على الإنترنت. نقرأ ترجمات المراجعات لعلنا نتعلم كيف يراجع العالم كتبه.

انظروا كيف يجري مثقف لقاء مع مثقف آخر. هناك أسئلة مكررة توحي لك بأن مثقفنا يعاملها معاملة "الوصايا العشر". تتكرر وتتكرر. وبدلا من استنطاق المثقف المقابل، تضيع الفرصة. أما "محضر" الاستنطاق نفسه فهو في معظمه س/ج وتفريغ بلا قراءة أو فهم أو مناقشة.

يتعقد الأمر أكثر إذا أسهب مثقفنا المستنطق في الحديث. يتعقد أكثر وأكثر إذا كان الاستنطاق لمجموعة مثقفين عن محور ثقافي. يصبح نص المقابلات أشبه بتدوين لما يردده صبية تلاميذ في كتّاب ديني. مثقفونا يرددون كلام بعضهم البعض، ومثقفهم المستنطق ينقل بـ"أمانة" ما قالوه.

أمثلة الارتجال في الدخول في عالم الثقافة كثيرة، ولا شك معروفة بالنسبة إلى العديد من المثقفين، المرتجل منهم والمؤصل بالفهم التأسيسي. وللحق، فإن إسقاطاتي هذه هي نوع من الارتجال. لا أعرف كم أصبت.

مثقفونا يرددون كلام بعضهم البعض (لوحة للفنان فؤاد حمدي)

«الإنفتي» عالم مستقبلي يُحيي الفنان ويقتل الفن

علاء حليفي
كاتب مغربي

تفتح كل ثورة تكنولوجية الباب أمام حدود جديدة تماما للإبداع والابتكار، فقد جعل اختراع المطبعة الكلمة المكتوبة متاحة للعامة، بينما ربط البث الإذاعي شتى أرجاء العالم ببعضها البعض، أما الإنترنت فقد أعادت رسم حدود العالم واقتصاداته. وقد شهدت السنة الماضية، انتشار العديد من الظواهر الرقمية، من عملات افتراضية، وعالم الميتافيرس، وتقنية "الإنفتي" (NFT) التي تعتبر أحدث التوجهات التكنولوجية الحالية، وأكثرها انتشارا في العالم الافتراضي.

قبل بضعة أشهر باع الفنان الأميركي مايك وينكلمان، المعروف أيضا باسم بيبل، صورة "إنفتي" عبارة عن "لوحة فنية رقمية" مركبة من خمسة آلاف صورة مجمعة داخل إطار واحد، بسعر قياسي بلغ 69.3 مليون دولار، وهو ثالث أعلى سعر يحققه فنان على قيد الحياة، حتى أنه يضاهي قيمة الأعمال الفنية المادية لكلود مونيه ووليم دي كونينج وبابلو بيكاسو.

تمت عملية البيع في دار كريستيز للمزادات، وقد اعتبرت الصفقة آنذاك أحد أقوى المؤشرات على أن "الإنفتي" سوف تجتاح سوق الفن مثل العاصفة. الجدير بالذكر أنه يمكن لأيّ شخص عرض صورة مايك وينكلمان، ورؤيتها كاملة عبر الإنترنت، فلماذا قد يرغب، أي شخص، في إنفاق الملايين على شيء يمكن بسهولة تنزيله أو رؤيته بالمجان؟

"الإنفتي" اختصار لمصطلح "الرموز غير القابلة للاستبدال"، وهي عبارة عن محتوى رقمي، قد تكون صورة، لوحة، مقطع فيديو، أو حتى أغنية. ما يجعلها فريدة من نوعها مقارنة مع باقي المحتويات الرقمية على الإنترنت، هو أنه يتم تسجيلها بشكل مشفّر في قواعد بيانات لامركزية، ممّا يضمن حفظ أصلها وختمها بعلامة تشفير للأصالة، والحصول على سجل دائم للملكيتها، مما يعني أساسا أنها تخص شخصا واحدا فقط.

يمكنك نسخ ملف "الإنفتي"، ولكن لا يمكن تزوير توقيعه الرقمي المسجل في قاعدة البيانات، الشيء الذي يتيح إمكانية شرائه وامتلاكه وأيضا إعادة بيعه كأصل رقمي. مَنَحت التقنية الفنانين وهواة جمع السلع الرقمية النادرة بعض الراحة، ويعتقد البعض أنه يمكن استخدام التكنولوجيا مستقبلا لتتبع وختم جميع أنواع البضائع الافتراضية، مثل عقود المنازل والسيارات واتفاقيات العمل والوصايا.

على الرغم من زيادة شعبيتها في الأشهر الأخيرة، إلا أن تقنية "الإنفتي" ليست بالأمر الجديد، فقد ظهرت لأول مرة سنة 2014، لكنها لم تشهد الشهرة التي تعرفها الآن حتى الربع الثاني من العام الماضي، إذْ عرفت زيادة كبيرة في نسبة التداول من بيع وشراء، حتى أن وسائل الإعلام العالمية وصفتها آنذاك بفقاعة اقتصادية ضخمة على وشك الانفجار، إلا أن التقنية استمرت في الانتشار لتعرف اهتماما أكبر من مختلف الشرائح المجتمعية، لاسيما بعد الإعلان عن انتقال فيسبوك إلى الميتافيرس في نوفمبر الماضي. وفقا للموقع الرسمي لصحيفة الـ"بي. بي.سي"، فالقيمة الإجمالية لتجارة "الإنفتي" قُدرت بنحو 40.9 مليار دولار العام الماضي، ومن المتوقع أن تبلغ 3.5 تريليون دولار بحدود سنة 2030.

يجب ألا ننسى، أنه على مدى عقود، كافح الفنانون والموسيقيون، وغيرهم من المبدعين، ضد قرصنة أعمالهم الرقمية على الإنترنت نظرا إلى سهولة الأمر. مع تقنية "الإنفتي"، قد نشهد بداية عصر جديد من الحرية الإبداعية، بما تتيحه التكنولوجيا للفنانين ومنشئي المحتوى من فرص فريدة لاستثمار بضاعتهم الرقمية التي كانت رخيصة أو مجانية في السابق.

تستجيب التقنية أيضا إلى حاجة عالم الفن للمصادقة والمصدر في عالم رقمي لا محدود. لم يعد الفنانون مضطرين إلى الاعتماد على المعارض أو دور المزادات لبيع أعمالهم الفنية، بدلا من ذلك، يمكن للفنان بيعها مباشرة إلى المشتري على شكل "إنفتي"، مما يتيح لهم أيضا الاحتفاظ بالمزيد من الأرباح. بالإضافة إلى ذلك، يمكن للفنانين أن يحصلوا على نسبة مئوية من المبيعات كلما بيعت أعمالهم الفنية لمالك جديد، وهي ميزة أخرى قدمتها التقنية، لأن الفنانين عموما لا يتلقون عائدات مستقبلية بعد بيع أعمالهم الفنية لأول مرة.

مع مطلع هذه السنة، وبعدما لاقت شهرة كبيرة، صارت هذه الصور الرقمية تُصمّم وتُباع بشكل لا محدود، بعضها بالملايين من الدولارات، حتى من لا علاقة له بالفن والتصميم، من أناس بسطاء باحثين عن الربح السريع، أغرتهم أرقام هذا العالم الافتراضي وارتموا بحثا عن الغنى من خلف شاشات الحاسوب، فصارت هذه التقنية بمثابة "إلدورادو رقمية"، دون أن ننسى بأن الهوس المتزايد حول "الإنفتي" والقدرة على إنشاء العديد من هذه الصور بسرعة وسهولة باستخدام برامج سهلة الاستعمال، لهما نفس تأثير الإفراط في طباعة النقود: فقدان قيمتها. فهل تستحق كل هذا المال والضجيج؟ هل هي حقا فقاعة على وشك الانفجار، أم أنها سوف تغير الفن والاستثمار مستقبلا.

لا يمكن لأيّ تيار فني أو ثقافي المضي قدما في الفراغ أو في معزل عن سياقه الاجتماعي والثقافي

هذا الجنون واللغط العالمي قد يذكرنا بما جرى في واحدة من أكبر الفقاعات الاقتصادية والمالية في التاريخ العالمي، أو ما عُرف بفترة "هوس التوليب"، حين ارتفعت أسعار زهور التوليب الهولندية في القرن السابع عشر، حتى وصلت قيمتها إلى مستويات مبالغ فيها، لتقترب من سعر منزل كامل. خلال تلك الحقبة، أصبح شراء زهرة التوليب وبيعها صفقة استثمارية كبيرة، مما أدى بالكثيرين إلى بيع كل ما لديهم من أجل شراء أكبر عدد ممكن من النبتة، قبل أن ينهار ثمنها بشكل كامل في فبراير 1637، مُفضية إلى إفلاس الآلاف من الأشخاص في أوروبا.

لمجرد أنك تستطيع، مثلما يفعل الجميع، شراء "الإنفتي"، فهل هذا يعني أنه يجب عليك ذلك؟ هل الأفضل الاستثمار في "الإنفتي" أم العمل الفني المادي؟ هل سيعوض الأول الثاني؟ أيهما سيكون الاستثمار الأكثر قيمة؟ بعض أعمال "الإنفتي" تجلب مبالغ كبيرة من المال، لكن ليس جميعها، كما أن قيمتها تعتمد بالكامل على ما يرغب شخص آخر في دفعه مقابل ذلك. لذلك، سيقود الطلب السعر بدلا من المؤشرات السوقية الاقتصادية والفنية، لذا من الصعب التنبؤ بما سيحدث خلال السنوات القليلة المقبلة، كما أن أيّ شكل فني جديد أو تكنولوجيا، دائما ما تكون غير كاملة في طرحها، يمكن أن تحقق طفرة كبيرة، كما يمكن للناس إساءة استخدامها.. هل يتحول الفن إلى منتج استهلاكي؟

أثار ظهور هذه التقنية جدلا آخر، هل يمكننا اعتبار "الإنفتي" فنا حقا؟ ما مقدار القواسم المشتركة بينها وبين عالم الفن الكلاسيكي؟ نلاحظ أن أغلب أعمال "الإنفتي" خالية من أيّ معنى أو رسالة، قيمتها الفنية لا تتجاوز كونها صورة لشيء ما، وهو الأمر الذي يتعارض مع أخلاقيات ومفاهيم الفن التي عرفها العالم منذ الأزل، فمنذ متى لم يعد الفن متعلقا بشيء ما عدا جني الأموال؟

"الإنفتي" يُحيي الفنان، ويقتل الفن. صحيح، يمكن أن يدور العمل الإبداعي حول كسب لقمة العيش، لكن لا ينبغي أن يكون هذا هو السبب الأساسي لصناعته، يجب أن يكون الفن ناقدا وذا مضمون ورسالة. أغلب اللوحات الفنية، تبني حكاية، تجسد روحا، أو مأساة، هذا هو هدف الفن الأول والأخير، قبل أن ينتهي به الأمر في المعارض والمزادات. المشكلة الأخلاقية لـ"إنفتي" أنها تتجاوز كل هذا، إذ يصير الفن بهدف البيع فقط، تماما كما لو كان سلعة.

لا يمكن لأيّ تيار فني أو ثقافي المضي قدما في الفراغ، أو في معزل عن سياقه الاجتماعي والثقافي، فهو بحاجة إلى إشراك الفنانين والمؤرخين والفلاسفة والناشطين الاجتماعيين. إن إبداع العقل البشري المصدر الأول لتقدم الحضارة للآلاف من السنين، كان حلم الفنانين منذ لوحات الكهوف في لاسكو أن يمنحوا الناس تجربة إنسانية، أن يكون فنهم شاهدا على حقبة تاريخية، كما هو الحال مع مايكل أنجلو في عصر النهضة، أو جان ميشيل باسكيات في ثمانينات القرن الماضي. لطالما كان الفن صوت عصره ومجتمعه، مما يجعلنا نتساءل الآن، أيكون تحويل الفن إلى منتج اقتصادي هو رسالة عصرنا الحالي؟ أنتوقع إذن، في المستقبل القريب، أن نقتني الشِعر من السوبرماركت؟ كيف سيُذكر عصرنا الحالي بعد مئة أو ألف سنة؟ ألق نظرة على الأشياء التي نصنعها اليوم، هل هذا ما نريد أن نُعرف به في المستقبل؟ هل نستحق التذكر؟

«لوحة فنية رقمية» مركبة من خمسة آلاف صورة

ص10 وص13 ومقال آيت عله زهرة في ص 12 تنشر كلها كاملة على الموقع الإلكتروني بالاتفاق مع مجلة «الجديد» الثقافية اللندنية

العرب
الأحد 2022/03/06
السنة 44 العدد 12348

مرآة ميشيل دو مونتيني التي يرى فيها الجميع نفسه

كتاب مقالات تجيب عن سؤال أبدي: كيف تعاش الحياة؟

مقالات تشبه المرايا لقرائها

عرّف أحد أتباع ميشيل دو مونتيني (1533 - 1592)، من القرن السابع عشر المقالة بأنها "مثل إطلاق النار من مسدس، لترى ما إذا كانت طلقته ستمضي في خط مستقيم"، في إشارة إلى أهمية المقالة وتأثيرها الكبير على المتلقي، وفي حقيقة الأمر كان يقصد تأثير مقالات مونتيني، الذي لا تُغفل أهميته وريادته في هذا السياق، إذ ارتبطت نشأة فن المقالة به تحديدا، بل عدّ بالفعل مبتكره، فكما هو معروف أنه في زمن مونتيني لم تكن الكلمة المقالات "essais" موجودة أما "Essayer" فهي كلمة فرنسية معناها يحاول toessay أي شيء معناه أن تختبره أو تتذوقه أو تبذل جهدا في محاولة فعله.

ممدوح فراج النابي
كاتب مصري

واحد من أهم الإنجازات التي قدمتها دار معنى للثقافة العربية، هو الترجمة الوافية الكاملة لكتاب "المقالات"، بأجزائه الثلاثة، لميشيل دو مونتيني، والتي اضطلع بها فريد الزاهي.

تتصدر الكتاب مقدمات كثيرة، واحدة من الناشر وأخرى من المترجم إضافة إلى مقدمة مستفيضة من ابنته، والأخيرة بمثابة وثيقة دفاع عن المقالات تارة بسبب الاستقبال البارد الذي لقيته المقالات في وقتها، وتارة ثانية لما تعرضت له من إقصاء وتهميش ومصادرة في فترة من الفترات، وتارة ثالثة تسعى إلى تفنيد الانتقادات، فقد أدانت محكمة التفتيش الكتاب، بسبب الجرأة التي اتسم به سرد مونتيني، ووضعته في قائمة الكتب المحظورة سنة 1676.

وقد جاء دفاعها عن صاحب المقالات والمقالات مستدلة بمن كتبوا عن قيمة المقالات وما ينبع منها من حكمة أصيلة. ولم يتوقف دفاعها عند الأمور الخارجية، بل دافعت أيضا عن لغته التي استعمل فيها عبارات وألفاظا لاتينية، بل ترى في هذا ليس عيبا، وإنما هو ميزة وابتكار، وما أوخذ على الكتاب من مهاجمته للآداب العامة، بل على العكس مما رأه منتقدوه، فمونتيني لم يكن فاحشا، بل كان يدين بقوة علاقة التسري أو المعاشرة الحرة.

أصداء الكتاب

الكتاب على الرغم من حملات الانتقادات التي وجهت إليه، وكان مع الأسف تأثيرها بالغا بأن حجبته عن القرّاء لفترة من الوقت، أحدث تأثيرا عظيما على كلّ من قرأه أو اطلع عليه بنحو من الأنحاء، ففرنسيس بيكون بلغ به التأثر إلى درجة أنّه صنّف كتابا على مثاله، بالعنوان نفسه، أما وليم شكسبير، فقد اقتبس منه مشهدا ضمن مسرحية العاصفة، وقيل إن مونتسكيو كان يحتفظ بنسخة قديمة منه في خزانته، كما ظهر تأثّره به في تحليله المقارن للقانون، وبالمثل استمدّ منه جان جاك روسو فكرة "الهمجي النبيل"، إضافة إلى تأثره به في تحرّره وجرأته في سرد سيرته "الاعترافات"، وكذلك الفيلسوف فريدريك نيتشه، الذي كان مفتتنا بالكتاب وبصاحبه، وقرأه منذ أن كان في الخامسة والعشرين من عمره، وعبّر عن هذا الإعجاب بقوله "إن مجرد وجود مقالات مونتيني زاد من بهجة العيش في هذا العالم في الآونة الأخيرة"، وغيرهم الكثير والكثير من أساطين الفكر، وأرباب البيان، على حدّ قول ناشر الكتاب.

> الكتاب على الرغم من حملات الانتقادات التي وجهت إليه إلى درجة حجبه فإنه أحدث تأثيرا عظيما على كلّ من قرأه

ومع الأهمية الفكرية للمقالات، إلا أنها في الوقت ذاته لم تُعتبر مصدرا من مصادر فكر الأنوار، ومع هذا فالكتاب يعدّ أحد المعالم المؤسسة للغة الفرنسيّة مع كتابات الفرنسيين الكلاسيكيين كرابليه ورونسار وغيرهما.

في الكتاب الذي كتبته المفكرة الفرنسية سارة بوكويل عن ميشيل دو مونتيني بعنوان "كيف تعاش الحياة: أو حياة مونتيني"، قدمت سيرة ذاتية لمونتيني من خلال كتابه "المقالات"، ولكنها ليست سيرة ذاتية كلاسيكيّة كالسيرة المتعارف عليها مثل "اعترافات" جان جاك روسو، أو "حياتي" لجورج صاند وغيرهما، فحسب قولها "هو لا يشبه معظم كاتبي المذكرات من أبناء عصره، فهو لم يكتب ليسجّل أعماله وإنجازاته العظمى، ولم يُقدِّم تقارير شاهد عيان على الحوادث التاريخيّة (...) وإنما يقدِّم نفسه باعتباره شخصا يدوّن كل ما يطرأ على فكره حين يمسك بالقلم، فسطر به ما يمرّ في عقله وحالاته العقليّة حين حدوثها، وجعل من هذه التجارب أساسا لتوجيه أسئلة لنفسه، أهمها الأسئلة الكبرى التي تدار حول كيف تُعاش الحياة".

دافع مونتيني الأساسي للكتابة هو معرفة كيف يعيش حياة طيبة مستقيمة شريفة، لكنها أيضا يريدها حياة إنسانيّة كاملة، باعثة على الرضا، وفي سبيل كيفية تحقيق كيف تعاش الحياة، تفتّق هذا السؤال إلى عدد لا حصر له من الأسئلة الأخرى، من قبيل: كيف يتعامل المرء مع الخوف من الموت؟ كيف يتغلب المرء على فقدان طفل أو صديق أو محبوب؟ كيف يتصالح مع الفشل؟ وغيرها من أسئلة واجه في بعضها ألغازا صغيرة على نحو كيف تسري عن جار يبكي؟ أو كيف تحرس بيتك؟ أو ما أفضل استراتيجيّة تتبعها إذا احتجزك لصوص مسلحون يبدو أنهم لم يحسموا أمرهم هل يقتلونك أم يحتجزونك ويطالبونك بفدية؟

المقالات تخضع لتصنيفات عدة، خاصّة لما تتضمنه الشذرات التي تتناثر على طول الكتاب من مقاطع أو اقتطاعات من سيرة حياة مونتيني ذاته، وهو ما يدخلها تحت دائرة السّيرة الذاتيّة في أحد جوانبها، وإن كان فيليب لوجون وجورج ماي المنظران الفرنسيان يرفضان (أو يتحوطان في) إدراجها تحت هذا النوع، ومع هذا الاحتراز الذي أبداه بشأنها على عكس ما فعلا مع اعترافات القديس أوغسطين واعترفات جان جاك روسو، وقد اعتبرت الأخيرة التدشين الحقيقي للسيرة الذاتية على حد قول جورج ماي، إذ خلصتها من الطابع الديني، وما اقتضاه من محاسبة النفس التي يحض عليها التزهد المسيحي، والإيمان بالإخوة بين البشر وتساويهم في المراتب.

وشاع بعد روسو عدد من السير الطهريّة (في التراث الإنجليزي)، أو التقويّة (في التراث الألماني)، أو الجنسينيّة (الطمأنينية) في التراث الفرنسي، فكانت اعترافات روسو بمثابة العتبة التي تجاوزت من خلالها السّيرة الذاتيّة الطابع الدينيّ (أي الكتابة بدافع الورع)، وانتقلت إلى الطابع العلماني، بأن اتخذت الإنسان محورا لها، بعد إفادتها من تطور الفردانية، وهو ما جعل جورج ماي في كتابه "السيرة الذاتيّة" (1979) يشيد بمكانة اعترافات روسو في ظهور "أوّل وعي جماعي بأن السيرة الذاتيّة لها كيان أدبي".

ميل الكتاب إلى السيرة الذاتيّة له ما يدعمه من إقرار مونتيني نفسه في المقدمة، والذي يأتي كتعهد أو ميثاق سيري بتعبير لوجون، فهو يقول "ولو كان الهدف الحصول على رضا الناس، لرأيتني أستعير لنفسي من الزينة أنواعا وأصنافا، لكن أريد أن أظهر فيه كما أنا، ببساطتي وعفويتي وسلوكي العادي، دون تنميق ولا تزويق، لأني إنما أرسم فيه نفسي، وستبدو فيه عيوبي عارية مكشوفة، ومعها نقائصي وسبيلي في العيش بقدر ما لي بذلك احترامي للجمهور"، ومرة ثانية يكرّر هذا المعنى في نهاية المقدمة حتى لو كان محذرا القارئ من عدم الاشتغال بموضوع تافه فارغ هكذا، قائلا "إني أنا نفسي مادة كتابي أيها القارئ".

قرب كتاب المقالات من ذات صاحبها، لا ينفي إمكانية أن كل قارئ للكتاب يجد نفسه فيه، على حدّ تخيّل الروائيّة فيرجينيا وولف التي تخيلت أن الناس يمرون ببورتريهات مونتيني الذاتية مثل زوار لمعرض فن تشكيلي، يتوقف كل شخص قبالة الصُّور وينحني إلى الأمام ليحدّق في أشكال انعكاسات وجهه على الزجاج. وهذا ما فطن إليه كُتّاب لاحقون لمونتيني بأن وجدوا ذواتهم في الكتاب فأعلنوا أن كل مَن قرأ كتاب المقالات شعر كما لو كان هو الذي كتبه، وهو الأمر الذي حدا بأندريه جيد إلى أن يقول عنه "لقد تملكته إلى حدٍّ بعيد، إلى درجة بدا معها أنه نفسي أنا ذاتي".

قراءة المقالات كما ذكر الناشر تحتاج إلى جهد، ووضعية محدّدة، فلا هو كتاب للتسليّة، أو كتاب خفيف يمكن أن تزجي به الوقت، وإنما هو عصارة حياة، وخلاصة حكمة متأمّل، شغله كيف يجب أن يعيش الإنسان، ومن ثمّ تصبح نصيحة الروائي جوستاف فلوبير لصديق كان يتساءل كيف يقارب مونتيني، ذات فاعلية هنا، فحسب إجابته "لا تقرأه كما يفعل الأطفال، من أجل التسلية، ولا كما يفعل المتعطشون للحصول على الإرشادات . لا اقرأه كي تعيش الحياة".

يتكوّن كتاب المقالات من ثلاثة أجزاء، تحتوي جميعها على 107 مقالات وشذرات، تتنوّع بين الطول والقصر، كتبها مونتيني خلال ثماني سنوات، لكنه استغرق في تنقيحها عشرين سنة، بدأ الكتابة بعد اعتزاله الناس، وهو في السابعة والثلاثين من عمره، وقد بدأها على أنه رواقي أو يريد أن يكون رواقيًا، يقسو على نفسه ضدّ أهوال الحروب الأهليّة والدينيّة الفرنسيّة، وأيضا لحزنه للفقد الذي تراكم في حياته، بعد أن فقد أفضل صديق له إتيان دي لا بويتي بمرض بالطاعون، ثم أعقبه موت أبيه، وبعدها لحقه أخوه الأصغر، ثم فقده ثلاثة من أبنائه.

اللافت حقا أنه بعد استقالته من عمله فرغ إلى العزلة وزهد عن الناس وانقطع إلى الدرس والتحصيل في مكتبته، وراح يقرأ ويعلق ويفكّر ويتأمّل ويفحص حياة الناس، حتى إنه قرّر أن الشرط الأساسي لتحقيق "الاستمتاع بالحياة" هو الشّك الشامل بالأشياء المحيطة بها، أو "إن أعظم ما في العالم أن يكون المرء لنفسه".

على عكس ما هو متوقع، المقالات لم تكتب بشكل منظّم أو عبر خطة ممنهجة من البداية إلى النهاية على الإطلاق، بل كانت خاضعة للتبديل والتعديل ولم يتوقف هذا إلا بموت مونتيني نفسه، كما يميل في كتابه إلى الاستطراد إذ ينتقل من موضوع إلى آخر ناسيا الموضوع الذي بدأ به، وفي النهاية يعود إلى ذات الموضوع الأصلي بعد أن كان قد أحاط موضوعه بتنويعات مختلفة من الشواهد والحكايات التي تُعزّز من وجهة نظره، وبالمثل لا يمكن إخضاع الكتاب لنوع بعينه أو حتى الإلمام بموضوعه فهو كما تقول سارة بكويل "أكثر من مجرد كتاب، إنه حوار بطول قرن بين مونتيني وجميع مَن عرفوه، حوار يتغيّر عبر التاريخ، ويكاد يبدأ مجدّدا مع كل مرة بهذه الصيحة "كيف عرف كل هذا عني؟".

بين النقل والنقد

يتسم مونتيني بأنه يكتب على سجيته ومن ثمّ نراه في المقالات متحرّرا من كل القيود، فهو أولا يعمل العقل في نقله، وكذلك يتنقل بين الأفكار والقضايا والموضوعات بحرية تامة، مراوحا بين حياته الشخصيّة وتأملاته وفلسفته وحكمته أيضا، لذا يتنقل بين موضوعات عديدة من قبيل الحرية والسّعادة والصّداقة والحبّ والعدالة والحرب والسّلم والشجاعة والعضب والحزن، والتسامح والتربية وفلسفة الطبيعة، والكسل والخمول، وعدم التظاهر بالمرض، ومساوئ العظمة، والغرور، وغيرها من موضوعات لا تقف عند طبائع البشرية، بل هناك موضوعات تكاد تكون تعليمية/ بيداغوجية مثل تربية الأطفال، وفن المحادثة، وطريقة تنظيم الإنسان لإرادته، وأنواع العلاقات التي يجب أن يدخلها الإنسان، وفن المناورة، والوسائل الشريرة للوصول إلى غايات خيرية، والوسائل التي استخدمها يوليوس قيصر في الحرب، وفي هذا كله يقدِّم عصارة خبرته وتجربته مع أمثلة حيوية كنماذج دالة لتأكيد فكرته.

يقول على سبيل المثال إن ميزتنا الأساسيّة هي أننا نتكيّف مع الظروف المتنوِّعة، ويعوّل على النفوس الرائعة في منحنا أكبر قدر من التنوّع، والعقول بحاجة ماسّة إلى مادّة خارجيّة كي تنطلق وتمارس فعلها، ويمتدح العقل ذا الطبقات المتعدِّدة القادر على التمدّد والانكماش، العقل الذي يتوحّد مع الجميع ويتناقش معهم دون فارق طبقي أو ثقافي، فيتحدث مع جاره عن مشاريعه وبناياته، وخرجة الصيد، وقضاياه التي تنظرها المحكمة، وهو ذاته الذي يدردش بمتعة مع بنّاء كما بستاني، ومن ثمّ لا يتورع عن الاعتراف بأنه يغبط أولئك الذين يستطيعون أن يتعرّفوا عن قرب على أبسط خادم لهم، والتحادث مع أناس بيتهم.

يبرز الجانب النقدي في شخصيته، أثناء دفاعه عن سينيكا بعد هجوم لوكيوس كاسيوس ديو في كتابه "التاريخ الروماني"، فيصف المؤلف بأنه متقلب في أحكامه، فتارة يصف سينيكا بأنه "بالغ الحكمة"، وتارة ثانية بـ"العدو اللدود لرذائل نيرون"، وتارة ثالثة بأنه بخيل ومراب وطموح ورخو وشهواني، والقاصمة أنه يتظاهر بأنه فيلسوف. كما إن علاقته بالأشخاص لا تنفي في حالة هجومهم على أصدقائه أنه لا يتجرد من حياديته ونزاهته، ويهيل عليهم الاتهامات ويقلّل من شأنهم بل على العكس تماما، ففي دفاعه عن بلوتارخوس من اتهامات جان بودان، في البداية يُقرّر بأنه مؤلف جيد من عصرنا، يفرق عن جمهرة الكتبة من معاصريه، بالأحكام العقلية، وفي الوقت ذاته يرى أن التفكير هو دراسة مهمة وغنية لمن أراد أن يفحص نفسه، فالحياة هي قرينة التفكير، والعظماء يجعلون من التفكير شغلهم الشاغل. ويلجأ الإنسان إلى القراءة لأنها مثار التفكير، ويؤكد أهمية التضاد أكثر من التشابه، وأن ما يقلقنا يوقظنا أفضل مما يعجبنا، فعلى حد قوله "إن عصرنا أكثر ملاءمة للتعلم بشكل عكسي، وبالنفور منه أكثر من الاندماج، بالاختلاف أكثر من الاتفاق".

أما المحادثة ففي رأيه هي "التمرين الأكثر نفعا وطبيعية من كافة أنشطة حياتنا"، فالفائدة تعمّ من المحادثة مع عقل يثير أفكاره ويحرك جوانبه يمينا وشمالا، كما أن العقل يتقوّى بالتواصل مع عقول قويّة ومتوازنة، لكن أن يكون الجميع على رأي واحد، فهذا، حسب قوله، "أمر بالغ الملل في المحادثة".

على الرغم من حضور ذاته الطاغي داخل المقالات والشذرات، إلا أنه كان يكتب للجبلة البشرية لا لمواطني بلده وعصره فحسب، وفي كتاباته انتقادات للأفكار والعادات السيئة التي يمارسها الأفراد أو حتى تلك التي تصدر عن الدولة نفسها، وهو ما يعكس ولعه بالانضباط والحسم ورفض حالة اللامبالاة التي يتعامل بها الأفراد أو مؤسسات الدولة إزاء قضايا وطنية مصيرية، فنرى غضبته على الإهمال والتقاعس اللذين تبديهما الدولة في تربية الأطفال، وتركها المسؤولية على عاتق الآباء.

لا يتوارى الجانب الديني في المقالات، فثمة أصداء للإرث المسيحي الأوغسطيني، فتطل نبرة دينيّة وعظية، وهو يسرد عن طبائع البشر وما لا يجب أن يتصفوا به، بل تسري هذه النبرة في المقالات الخاصة بالتربية على نحو مقالته عن الغضب، فنستلمح إشاراته المتكرّرة عن كيفية وجوب التربية ومعاملة الأطفال وفقا لقوانين ملزمة كما هو سائد في دولتي إسبرطة وجزيرة كريت.

لم يكن مونتيني من خلال مقالاته يسعى للحديث عن نفسه وحسب، بل يريد أيضا أن يُبسّط معرفته بالشرط الإنساني في كليته عبر تحليل تجاربه، إلى حد أنه يعطي انطباعا بأنه يبني ذاته من خلال الكتابة، قائلا "لم أصنع كتابي أكثر مما صنعني كتاب". يمتاز أسلوب مونتيني في المقالات بالسهولة والعمق في الآن ذاته، وقد وصل العمق إلى اتهام الكتاب بالغموض، وإن كانت ابنته زادت عنه هذه التهمة، وترى أن الكتاب غير موجّه في الأساس للمبتدئين، كما يعتمد كبنية أساسية على الاسترسال وإن كان في بعضها يجمل، كما ينتقل على سجيته بين الموضوعات بين الذاتي والموضوعي، ومن الميتافيزيقي (الخوارقي) واللاهوتي إلى الواقعي والسياسي.

> الكتاب يعدّ أحد المعالم المؤسسة للغة الفرنسيّة مع كتابات الفرنسيين الكلاسيكيين كرابليه ورونسار وغيرهما

يلجأ أحيانا في كتاباته إلى منهج المقارنة بين أفكار شخصيات كثيرة، حول موضوع واحد، فعند حديثه عن الحرية نراه يقارن بين موقف شيشرون منها الذي يتحدث عن حب الحرية، وموقف بروتوس الذي يعكس أنه رجل يدفع حياته ثمنا لها. وبالمثل يقارن بين موقف شيشرون وسينيكا عن إزدراء الموت. فحسب قوله "إن شيشرون يبدو في حديثه متهاديا وخاملا، وكأنه يريد إقناعك بشيء هو غير مقتنع به، في حين يحرك الثاني بواطنك ويوقدها".

عيب على الكتاب أن المقالات قد تناقض بعضها، فقد يذكر شيئا في إحدى المقالات أو الشذارات، ثم يأتي في مقالة أخرى أو شذرة أخرى ليقول نقيضها، حتى بدأ وكأنه يتخذ من أبيات والت ويتمان شعارا له "هل أناقض نفسي؟ فليكن أنا أناقض نفسي، أنا متسع، أنا متعدِّد"، ومع هذا فهو يعترف بهذا التناقض وإن كان يرده إلى ذاكرته، فحسب قوله "الذاكرة وعاء المعرفة، وبما أن ذاكرتي ضعيفة فليس لي أن أشكو من أني لا أعرف شيئا كثيرا... أنا ماهر في النسيان إلى درجة أني أنسى أيضا كتبي نفسها مثلها مثل الباقي..."، والنسيان أوقعه في مشكلة أخرى تتعلق بالتكرار.

تكشف بعض مقالاته عن موسوعيته ومعرفته التي تتعدى حدود عزلته التي فرضها على نفسه، فمقالته عن "آكلي لحوم البشر" يتحدث فيها عن الثقافة الهندية الأميركية، وهي مستقاة من تقارير المسافرين، يستعرض فيها لثقافة هذا الشعب، أو من عرفوا بـ"المتوحشين"، وينفي عنهم صفة البربرية والوحشية التي ألصقت بهم، ويردّ وحشيتهم إلى التصاقهم بالطبيعة الأمّ التي يرى أننا مهما سعى الفن لمحاكاتها، إلا أنه لن يصل إلى جمالها.

العرب
الأحد 2022/03/06
السنة 44 العدد 12348

جاليليو جاليلي العالم الخلوق والساخر واللاهوتي

«عقيدة الحقيقتَين» نقطة التقاء وتنافر بين العلم والدين

ما يقارب الخمسمئة عام على رحيل العالم والفيلسوف الإيطالي جاليليو جاليلي، الذي دفع الثمن حياته منفيا بسبب أفكاره العلمية الرائدة، وتعارضه مع المنظومة الدينية المسيحية، التي واجهته بكل قوة، واستذكار شخصية هذا العالم اليوم ليس فقط مجرد استعادة للتاريخ، وإنما إضاءة على ما يواجهه العلم والعلماء إلى اليوم من تضييق ومحاصرة وتنكيل في بعض البلدان، وهو ما يدعو إلى الاستعانة بخفايا الماضي لإنقاذ الحاضر.

آيت عله زهرة

"عقيدة الحقيقتَين" هو أول إصدار للباحث المغربي مملد كزو، وللكتاب عنوان فرعي "أقنعة جاليليو جاليلي تنكشف في رسالته للدوقة كريستينا". والعنوان كما نلاحظ يحمل دلالات متعددة، فالعقيدة واحدة والحقيقة تختلف ولكنها تجتمع في النقطة نفسها، بحيث "واجب الإيمان يقول إن الآيات تنزيل من عنده تعالى، وواجب العلم يقول إن الطبيعة يجب أن تساير الغيب لارتباطهما الشديد، فالكتاب المقدس حقيقة ومستجدات الطبيعة حقيقة، ولا يمكن للحقيقتين أن تتعارضا".

هو كتاب فكري يقع في حوالي مئة صفحة من الحجم المتوسط، ويتضمن تمهيدا ومقدمة وأربعة محاور وخاتمة. حيث يناقش الكاتب في التمهيد مسألة العودة لدراسة جاليليو من جديد باعتباره ضربة أيقظت الفكر الإنساني آنذاك وليس كمعلومات فقط، وهو ما نلاحظه من خلال البدء بالسؤال التالي "لماذا استحضار جاليليو جاليلي من جديد؟".

> الكاتب يسلط من خلال دراسته لرسائل جاليليو الضوء على شخصية هذا العالم لينير جوانب أخرى متميزة تجلت فيه

وبعدما تطرق إلى حياة جاليليو وأعماله الشهيرة، عرج على معاناته مع الكنيسة، وللإجابة عن السؤال السابق كانت الأسباب متعددة حسب الكاتب، الذي حاول أن يعطي مسوغات لاختياره، فنجده يقول "كما يتضح الآن إذن، وللإجابة عن السؤال المطروح في بداية هذا التمهيد، أن جدوى قراءة جاليليو من جديد تكمن في استلهام التجربة الثورية الغربية في عالمنا العربي التي تغيب عنا بشكلها المقنن والمدروس".

وفي النسق نفسه يضيف قائلا "أيضا تكمن جدوى قراءته (أي جاليليو) في فهم الجذور العلمية للحداثة الغربية، التي أفضت إلى حتمية ما يسمى العلمانية بما هي فصل الدين عن الدولة"، ويبقى المبرر الأهم حسب الكاتب دائما "في اكتشاف أقنعة أخرى للعالم الفيزيائي جاليليو جاليلي غير المتعارف عليها، فسنشهد أوجها جديدة لهذا الرجل، في شخصيته، تستحق الوقوف عندها".

المتخلق والساخر والعالم

يشرح الكتاب، الصادر في طبعته الأولى بالأردن سنة 2021 عن "دار الآن ناشرون وموزعون"، حيثيات كتابة جاليليو رسالته الخالدة، "واضطر جاليليو لكتابة هذه الرسالة، حتى يشرح للدوقة كريستينا ما أثير خلال مأدبة غداء لم يحضرها ولكن حضرها تلميذه بنديتو كاستيلي الذي لم يشف غليله في كيفية الإجابة والإقناع، إذ وأثناء الحديث، طرحت الغرندوقة بعض الأسئلة بإيعاز من الخصوم الحاضرين حول حركة الأرض وثبات الشمس".

إذ كانت الوليمة فخا نصبه المتربصون لتلميذ جاليليو المتحمس للرد والإجابة، ولكن بالمقابل فهم جاليليو الإشارة وأدرك أنها خطة لتشويه سمعته داخل البيئة الاجتماعية الراقية، فسارع دفاعا عن نفسه وعن أطروحاته العلمية لكتابة موضوع لاهوتي بمقاربة فلكية، فمزج بين الكتاب المقدس والمعطى العلمي. إذ يسلط الكاتب، من خلال دراسته للرسالة، الضوء على شخصية جاليليو، فينير جوانب أخرى متميزة تجلت في جاليليو الأديب، ثم جاليليو الجارح، فجاليليو العالِم، وأخيرا جاليليو اللاهوتي.

المحور الأول يتناول جاليليو الأديب، وكيف كان يتميز بأسلوب لغوي ماتع، وبأدب نفيس في الوقت نفسه، بحيث جمع بين الأدب والتهذيب، لذا يرص جاليليو، حسب الكاتب، الأميرة منذ الوهلة الأولى في الأحداث، ويجعلها تقتنع بما يقول ويشرح، حول اكتشافاته العلمية التي تتماشى والمتغير العلمي الحداثي. فالعالِم لا يقحم الكتاب المقدس في أبحاثه، بقدر ما يهتم بما يشاهد ويجرب، أما الكتاب المقدس فيعطي الملامح الكبرى فقط لا الجزئيات.

وبحسب جاليليو فالله الذي وهب الإنسان العقل والحواس، لا يمكنه أن يمنعه بعد ذلك من استخدامهما في تحليل ودراسة ما يوجد في الطبيعة، ولكن رجال الدين يخافون من حقيقة الاكتشافات التي ستقضي على مناصبهم، فيقول جاليليو مصورا الفكرة، ومعطيا لها مثالا عظيما "كما لو أن أحد الأمراء أو الأباطرة البيزنطيين، الذي ليس طبيبا ولا معماريا، لكنه يعرف أنه حر في إصدار الأوامر، فيسمح لنفسه بارتكاب ممارسة الطب، وإقامة المباني تبعا لنزواته، وهو يجلب بذلك الخطورة للمرضى المساكين، ويمهد للانهيار السريع للصروح" (اكتشافات وآراء، جاليليو جاليلي، ترجمة كمال محمد السيد وفتح الله الشيخ، كلمات عربية للنشر، القاهرة، ط1/2010م، ص219).

وبدماثة أيضا يتحدث جاليليو عن سلطة الكنيسة مستعطفا إياها بإدراك الفرق بين السلطة واستعمال العقل في اتخاذ القرارات، وكم ستكون الحكمة آنذاك شديدة في التعامل مع النص الديني دون شخصنة بل خدمة للصالح العام، فالله خلق العالم للجدال والنزاع، وجعل الأشياء كلها في مكانها الدقيق، ويبقى على الإنسان أن يستخدم مداركه لفهم الارتباط بينها، وهكذا، حسب الكاتب، يصور جاليليو صورة أدبية وبلاغية عالية، "حين يقارن بين إدراك الإنسان حريته مقابل استيعاب الخلق الإلهي البديع لها، وكون هذا الأمر ليس متعارضا أبدا لأن الله منبع كليهما".

وكان تعامل جاليليو مع أطراف عدة باحترام وأدب بداية مع الحاكمة ثم رجال الدين فالعلماء، وفي ختام المحور الأول يقدم الكاتب محمد كزو مثالا رائعا ومعبرا لرجال الدين، الذين يفسرون الإنجيل على هواهم ويقصون باقي الآراء، صاغه جاليليو كما يلي "مثل أم تبحث عن طفلها بين ثنايا ثوبها الفضفاض"، فهي ستجده لا محالة، ولكن بعد ضياع وقت وجهد كان بالإمكان استثمارهما في أشياء أكثر أهمية.

وفي المحور الثاني يرصد الكاتب مكامن الاستهزاء والسخرية في الرسالة، بحيث يظهر لنا جاليليو بشخصية الجارح، فقد "كان جاليليو ثائرا جارحا، ينتقد بشكل لاذع وبسخرية كبيرة، سواء الخصوم والمغرضين، أو رجال الدين المتعصبين للفكر الأرسطي على وجه الخصوص، بل حتى العلماء والمفكرين عامة"، فهذا التهكم الجاليلي حسب الكاتب له ما يبرره، لأن الجميع تراصوا ضده قاصدين إجباره على عدم إكمال اكتشافاته، لا لشيء سوى أنها تخالف عقيدتهم الأرسطية القديمة.

وبما أن جاليليو ثبت على مبدئه العلمي من خلال مشاهداته الفلكية، فإنه كان متجاهلا الذين يقفون ضده، خاصة من رجال الدين المنافقين، لكونهم لا يقدمون أي دفوعات منطقية، بل سارعوا في نشر إشاعات مغرضة رغبة في هزيمته، وأذاعوا براعته في التنجيم وقراءة الطالع، و"أصبحوا من الوقاحة بحيث يأملون أن هذه البذرة التي ألقت بجذورها في عقولهم الزائفة، قد تلقي بفروعها لتصل إلى السماء".

والنتيجة أن واجه جاليليو هؤلاء الوصوليين النفعيين وزاد من حدته الجارحة واستخفافه الشديد في تعامله معهم، لأنهم يمتلكون قوة الكنيسة وقوة السلطة في الدين والدنيا، فبالنسبة إلى الدين يؤولون الكتاب المقدس على مقاسهم، وبالنسبة إلى الدنيا يحاكمون فورا كل من تجرأ على الخروج عن طوعهم، فيقول جاليليو مستهزئا "ويجب ألا أعيرهم أي اهتمام أكثر من هؤلاء الذين وقفوا ضدي في السابق، والذين أضحك منهم دائما، لأنني واثق من النتيجة النهائية".

المحور الثالث في الكتاب يتناول شخصية جاليليو العلمية، وهي في الحقيقة شخصية أكثر شهرة من السابقتين لارتباطها بالفلك والفيزياء، وقد سعى جاليليو في الرسالة للتذكير منذ بداية الرسالة بأعماله العلمية تحديدا، بمعنى أنه يبحث في العِلم لا الكتاب المقدس، ويستدل بالتجربة التي عزلها منهجيا محاكيا قوانين الطبيعة. وكانت اكتشافاته منافية للمفاهيم التي يؤمن بها رجال الدين منذ قرون خلت، ما جر عليه عداء مضاعفا، يقول جاليليو موجها كلامه للأميرة "لقد اكتشفت منذ بضع سنوات، كما تعلمين جيدا، أشياء كثيرة في السماوات لم يرها أحد من قبل عصرنا هذا. وقد أثار إبداع هذه الأشياء عددا قليلا من الأساتذة ضدي، كما لو كنت أنا الذي وضعت هذه الأشياء في السماء بيدي من أجل إثارة الطبيعة واضطراب العلوم"، وما للجملة الأخيرة من معان.

ولا يخفي جاليليو اقتناعه بأفكار نيكولاس كوبرنيكوس حينما درس نتائجها العلمية البحتة، وجند نفسه للدفاع عنها، رغم علمه بالمصير المحتوم الذي ينتظره لو سار على الدرب. ولكن كان القرن السابع عشر ميلادي قرنا فاصلا للحسم الصعب والنهائي مع النظرية البطليمية القديمة، وكان جاليليو إحدى أهم الركائز المساهمين في هذا الحسم بما قدم حياته خدمة لهذا الانعطاف الحداثي العظيم في خدمة الإنسانية كلها.

وعليه كان حماس جاليليو منقطع النظير لما يملكه من دفوعات قوية، وحججا دامغة على أفكاره العلمية، حتى أن المعارضين من رجال الدين كانوا يخشون الاطلاع عليها مخافة التأكد بأعينهم من خطأ ما يؤمنون به، يقول الكاتب محمد كزو "والصواب، بحسب جاليليو، أن مهمة العالم تعتمد على نقطة خطيرة جدا، هي أنه أثناء البحث والنقاش في المسائل الفيزيائية البحتة، يجب أن نضع جانبا سلطة الكتاب المقدس المستعملة لأغراض غير علمية، فما للسلطة من سلطان على الناس".

استعادة جاليلي تساهم في فهم الجذور العلمية للحداثة الغربية

الاتجاه إلى اللاهوت

المحور الرابع والأخير حول شخصية أخرى لجاليليو في رسالته للدوقة كريستينا، وهي جاليليو اللاهوتي، التي اضطر أن يجسدها مرغما، لكونه اتهم بالخروج عن تفسيرات الكتاب المقدس لإصحاحين شهيرين هما "يا شمس دومي على جبعون، فوقفت الشمس في كبد السماء". فكان لزاما عليه شرح المغزى والمعنى للإصحاحين، فيكون جاليليو قد اقتحم غمار التفسير والتأويل وهو العالِم الفيزيائي الفَلكي، فنجح إلى حد ما في شرح فكرة شساعة الدلالة في تصور النص المقدس، وعليه يكون من أوائل دعاة "الفكر التأويلي".

ويقول الكاتب "بينما الأخطاء، وفق جاليليو، توجد في أذهانهم فقط، فالإنجيل لا يمكن أن يضمها إذا فهم المقصود". إذ خاطب الله الإنسان ذاك الزمان، على اعتبار ما يفهمه ويدركه، بمعنى آخر ما وصل إليه السقف المعرفي لحظتها؛ واعتمد جاليليو في طرحه هذا على كلام واقتباس مجموعة كبيرة من رجال الدين على مر التاريخ، القدامى ومعاصريه، أملا في إظهار إيمانه وإلمامه بالشأن الديني، ومحاولة تجنب المزيد من التشويه والانتقاد المسيس.

وتقمص جاليليو دور اللاهوتي، ودعا "الجميع لتدبر مقاطع الإنجيل الشهيرة من سفر يشوع، ومحاولة تقبلها دون تغيير الفحوى الحرْفي لكلماتها، بمعنى خضوع الشمس لأوامر يشوع بالوقوف في مكانها حتى يطول اليوم كثيرا، وبالتالي فهي تتحرك".

ومن هذا المنطلق الديني تطرق جاليليو لتفسير الإصحاحين علميا، شارحا أن حركة الشمس حسب بطليموس تكون من الغرب إلى الشرق في فلك التدوير، أي عكس حركة القبة السماوية التي تحدث الليل والنهار، ولو كان القصد الحرفي لكان الكلام أن تسرع لا أن تبطئ؛ فقوله تعالى "في كبد السماء" معناه "وسط الكون"، فلو قصد الكتاب المقدس وقت الزوال لقال في منتصف النهار، "وليس في كبد السماء، لأن المنتصف الحقيقي الوحيد لأي جسم كروي هو مركزه" (اكتشافات وآراء، مرجع سابق.). وعليه ناشد جاليليو اللاهوتيين إلى جعل باقي النصوص الغامضة حسب فهمهم، في شرح متناغم مع منهجه في التفسير ليزول الإبهام واللبس، لاسيما إذا رافقوها بعلم الفلك.

وأخيرا، في خاتمة الكتاب تطرق الكاتب لأهم الاستنتاجات الكبرى من كتابه وكانت كالآتي اعتماد شريحة كبيرة في عالمنا العربي على حرْفية النصوص الدينية، مما يجعل التجربة الجاليلية أفقا ومخرجا يمكن الاستئناس به. وأيضا بداية العَلمانية بفصل الدين عن العلم، باعتبارهما عالَمين مختلفين، فكان طلَب الوضوح في الرؤية والحرية في العمل يتطلب فصلا بين العالَمين. ثم الربط بين الدين والسياسة وظهور اللمسات الأولى في جدل الديني والسياسي، وكون السلطة من أهم موضوعات الحداثة في الزمن الحديث والمعاصر.

رف الكتب

فيلسوف الحضارة

يأتي كتاب "مالك بن نبي.. مستأنف الخلدونية وفيلسوف الحضارة"، للباحث بدران بن لحسن، والصادر عن منشورات دار الوطن بالجزائر، في إطار البحث المتجدد الذي يقوم به الباحثون للتعريف بفكر مالك بن نبي، وتبسيطه أمام القارئ.

ويأتي الكتاب ضمن حاجة الأمم والشعوب والمجتمعات في مرحلة تحولها إلى مرجعيات فكرية، وإلى منظرين يفتحون لها الأفق لبناء مستقبلها وفق رؤية واضحة ومنهج متماسك وقيم أصيلة.

وبن نبي يعد واحدا ممن تنطبق عليهم تلك الأوصاف، فهو "مثقف واسع الاطلاع، إنساني التوجه، وعالمي الثقافة، خلدوني المرجعية، وفيلسوف الحضارة".

وأشار المؤلف إلى أن مالك بن نبي لم يلق بعد حقه من الاعتراف وإعادة الاعتبار، وتقدير إبداعه الفلسفي والفكري ومنجَزه في الفكر الاجتماعي واستئناف الخلدونية، التي تعد أهم إضافة في الفكر الاجتماعي قدمها المسلمون عبر التاريخ، وجاء ابن نبي للبناء عليها والإضافة لها. ومن الضروري تقديمه للأجيال الجديدة.

حضارة في الأندلس

يتناول كتاب "الحضارة العربية الإسلامية وأثرها الحضاري – الأندلس" لمؤلفيه مصطفى كمال المعاني ورائد عبدالجليل العواودة علامات فارقة في الحضارة العربية في الأندلس بكل ما تركته من منجزات فكرية هامة.

ويتناول الكتاب، الصادر حديثا عن "دار ناشرون وموزعون" في عمّان، بداية مفهوم الحضارة ونشوءها وأهم الآراء والنظريات التي تدور حول نشوء الحضارة مثل نظرية ابن خلدون، ونظرية فيكو، ونظرية الجنس أو العرق، ونظرية شبنغلر، ونظرية التحدي والاستجابة، والنظرية المادية.

كما يغوص المؤلفان في العوامل التي تساعد على نشوء الحضارة وتقدمها، بينما يتطرقان إلى دور الحضارة الإسلامية في الحفاظ على الحضارات السابقة وأهم معابر الحضارة الإسلامية إلى أوروبا؛ مثل البعثات التعليمية، والحروب الصليبية، والتجارة بين العالَمين الإسلامي والأوروبي، وانتشار الإسلام، والفتوحات الإسلامية، والرحّالة المسلمين الذين طافوا مختلف أنحاء العالم، والرحّالة الأوروبيين، والتبادل التجاري، والتقارب السياسي والثقافي، واللاجئين السياسيين المسيحيين، وانتقال الأخبار والأشعار، والترجمة.

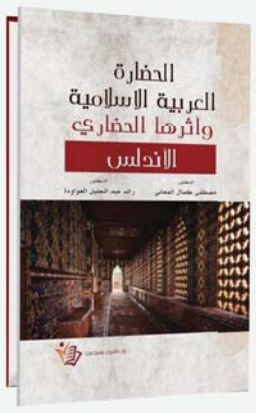

الديمقراطية ثقافة

يلقي كتاب "النظرية الديمقراطية.. التطور التاريخي، المفهوم والأنماط" الضوء بشكل موسع على الديمقراطية، مفهوما وتطورا ومضمونا.

ويهتم الكتاب الذي حرّره الدكتور أمين مشاقبة، وشارك في إعداده مجموعة من طلبة الدراسات العليا، بإيضاح تعريفات الديمقراطية السائدة. ويوضح أن ما يهم في العصر الحالي هو النظر إلى الديمقراطية على أساس أنها منهج حياة، وليست عقيدة سياسية، فهي "ثقافة تقوم على منظومة قيم مثل: التسامح، والتعددية، واحترام كرامة الإنسان وحرياته، والمساواة، وسيادة القانون".

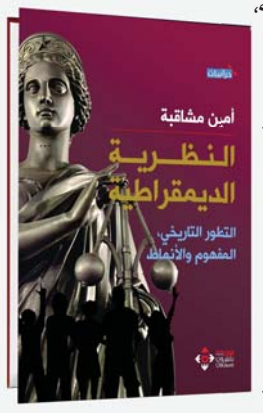

وجاء الكتاب، الصادر عن "الآن ناشرون وموزعون"، في ستة فصول استعرضت النظرية الديمقراطية من جوانبها المختلفة. إذ عالج الفصل الأول المفهوم والتطور التاريخي للديمقراطية، وتناول الفصل الثاني مرتكزات الديمقراطية الحرية، والعدالة، والمساواة، وناقش الفصل الثالث أنماط الديمقراطية.

وتناول الكتاب لاحقا التحولَ الديمقراطي، فيما اختتم أبحاثه بقضية الديمقراطية حول العالم، من خلال إلقاء الضوء على مستقبلها، وتقديم تأطير نظري للمعايير العالمية لقياسها.

العرب
الأحد 2022/03/06
السنة 44 العدد 12348

منى حاطوم تفتح ذاكرتها الشخصية وتمحو الحدود بين الأمكنة

فنانة تنقح الذكريات وتعيد تركيبها لتصفي حسابها مع الزمن

يتسع الفن لصراع الهويات ولتآخيها في الوقت نفسه. كأن يولد الفنان في مكان ويترعرع في مكان ثانٍ ويحتضنه مكان ثالث باعتباره فنانا. كما حصل للفنانة الفلسطينية البريطانية منى حاطوم، التي اخترقت مفهوم الهوية المقيّد بعناصر جاهزة بالرغم من كونها ظلت حريصة على أن تتسلل إلى أعمالها نصوص مقتضبة ومتوترة من سيرتها الأولى، وهي سيرة اللجوء الفلسطيني إلى بيروت ومن ثم بريطانيا.

حصون منقبضة على فراغ

شرف الدين ماجدولين
كاتب مغربي

يتقدم مسار الفنانة الفلسطينية – البريطانية منى حاطوم (1952) في المشهد الفني المعاصر، باعتباره تجربة "تَخَلّلات" مسترسلة، وجودٌ "ما بين" الجغرافيات واللغات، وتَمَظْهُرٌ يتخطى الفواصل الثابتة بين الأعراق، وتَشَوُّفٌ إلى مجاوزة العوارض بين الحسي المُمْتَلَك والمُسْتَقْطَر من مسارب الذاكرة، في امتداد تركيبي يولّف بين السرديات المركزية، عن الهجرة، والوضع القهري للنساء، والتمركز الغربي، والاختراقات البصرية لـ"ما بعد" الفن المفاهيمي.

تَمُدُّ أعمال الفنانة، المنتشرة عبر متاحف العالم، من مركز جورج بومبيدو، إلى متاحف نيويورك، وسيدني، وهلسنكي، وبرلين، وإسطنبول والدوحة.. جسورا متراكبة، عبر زمن ناهز أربعة عقود، بين لندن ومدن الشرق الأوسط، وبين غرائبية الفن الطليعي الحديث، والفانتازيا التعبيرية، والاختزالية الرمزية، فتُحكم صوغ المستحدث الصاعق من خامات المعدن والزجاج والصمغ، والنسيج والأرشيف الشخصي، والمتعلقات اليومية.

حصون للداخل المفرغ

تدريجيا اختصرت أعمال منى حاطوم المراوحة بين فن الأداء والتصوير الفوتوغرافي والتجهيز والفيديو والنحت وتوليفات النسيج.. الصيغة النسائية لتخطّي مأزق التعود القهري والمريح، مع وضع العطب والخسارة؛ بدت، في لحظة ما، أمثولة لتَخَلّلات الفَواصِلِ والعَوارِض، هل نقول مقابلا جنسيا وخَطابيا لإدوارد سعيد شريكها في المواطنة والمَنْفى ومناهضة التواؤم والنسيان؟

أعمال منى حاطوم تختصر بين الأداء والتصوير والتجهيز والفيديو والنحت والتوليفات الصيغة النسائية لتخطّي مأزق التعود القهري

تبدو العوارض الطارئة في التجربتين معا محصلة للوجود "خارج المكان"، ثم التلاشي التدريجي لمقومات الانتماء الحسي إلى المرتع، واستعاضته بفضاءات الذاكرة والمتخيل، وما يتصل بهذا الاستبدال الرمزي من أعمال مستبطنة لمفاهيم "الحدود" و"الشرق والغرب" و"الهيمنة" و"المحو" "والتشظّي" و"الفصل العنصري"، و"المَنفى"، والتفكيك النقدي للخطابات المنبثقة من تلك المفاهيم، ذلك ربما ما جعل إدوارد سعيد يختار أن يقدم أحد أكثر معارضها الفردية، الملتئمة في العالم العربي، شمولا، ودلالة على اختراقاتها الأسلوبية، وصداميتها وبلاغتها البصرية.

يقول سعيد في أحد المقاطع "في عالم منى حاطوم الفني لم يعد المكان الثابت الدائم ممكناً، فهذا الفن مثله مثل الغرف الغريبة الموارِبة التي تجعلنا حاطوم ندلف إليها، يعمل على جِلاء تفكك وانزياح أساسي، وبذلك لا ينقض على الذكرى التيً يحملها المرء، لما كان موجودا يوما ما فقط، بل على كمّ هو منطقي وممكن، كم هو قريب وبعيد في الآن نفسه، ذلك التفصيل الجديد والمحكم للفضاء والأشياء الأليفة، عن المقام الأصلي" (ضمن كاتالوغ: منى حاطوم، دارة الفنون، مؤسسة خالد شومان، عمان، 2009، ص 11).

عبارات تترجم الأعمال البصرية التي تقول الشعور الداخلي لإدوارد سعيد، خارج حيز الكتابة، ودونما ارتهان للقول: تركيبات الأسلاك الشائكة، وحديد الخرسانة المنقبضة على فراغ، والأواني المتحولة، والخرائط الغرائبية،.. فضلا عن الرموز الأكثر التصاقا بذاكرة الحواس: "الكوفية" و"الصابون النابلسي" و"السجاد" و"المتاريس".. التي تكشف ترددات الاستعادة، وما يتخللها من تبدُّلات، هي حصيلة لفواصل الوقت، وعوارض الهجرة المؤبدة.

في سلسلة من المتواليات البصرية المنكبّة على تبيين حالة الوقوع في شرك الفضاء الجغرافي، تبرز أربعة أعمال عن "الانغلاق" الموهم بالامتداد، الذي لا ينتج إلا المجاورة بين الحصون المنقبضة على فراغ؛ فجواتٌ ضيقة تكاد تلغي مساحة "البين"، برؤى فجائعية حريفة ومدوخة.

في عمل أول يحمل عنوان "خريطة" أنجز سنة 2015، تركّب منى حاطوم ملامح قارات العالم من حبيبات بلّورية متراصفة، كرات زجاجية شفافة، مضمومة إلى بعضها، لا تُظهر إلا التخوم القصوى، حيث تلتقي الكتلة بالفراغ (اليابسة بالماء)، وتتلاشى فيها الحدود بين الكيانات. تتلون الكريات بأثر الضياء المنعكس على الأرضية الخشبية، على نحو مشطور عموديا إلى أحجام غير متماثلة، تكتسب معها الحبيبات البلورية مقامات بياض/رمادي متدرّج، يعيد تكوين نتوءات اليابسة في القارات الخمس. والحال أنها كريات منقبضة على حدودها الصغرى فقط، ومهيأة باستمرار للانفراط، هي في وضع تضام مؤقت، لا تكونه باسترسال تاريخي، أنوية صغرى لتمركزات منغلقة على هباء.

يوحي العمل بخطورة "المابعدية" ما الذي سيطرأ في حال تفكك ذلك التلاحم المبني على سلطة مؤقتة في الزمن؟ التشظي؟ التناثر؟ الفناء؟ في هذا التجهيز تبلور منى حاطوم رؤية من فوق لفكرة الحصون المنقبضة على فراغ، التي ستسكن بعد ذلك عشرات الأعمال التي قدمت في معارضها المتلاحقة، عبر القارات الخمس، يبدو ترجمة اختزالية لما فصله، بعد ذلك، عملان بارزان من هذه السلسلة، الأول بعنوان "قفص لاثنين".

"قفص لاثنين" مجسّم كبير لما يشبه قفص طيور مدجّنة، بداخله مفاصل معدنية لسرير اثنين، غرفة نوم لمخوزة، بأسفلها درج ينفتح إلى الخارج، يفتحه آخرون، كذلك الذي توضع فيه الحبوب للطيور بالداخل، لكن لا يكتمل المجاز المخملي لأمثولة "الاقتران الأبدي"، فلا هو بقفص ذهبي ولا يتخلّل إهابه الصلب والبارد إيحاء سكينة، هو حصن الفراغ ذاته الذي تشرّبته الحبيبات البلورية في الخريطة، والشرنقة التي تجعل الانتماء قرين الأسْر.

لكنها في النهاية مجرد قواقع حاضنة للاشيء، من هنا لجوء منى حاطوم إلى تجريد الدعامات البيتية من لُحمتها الخرسانية، لتبدو في أعمال شتى مجرد هياكل حديدية ناقصة، مستعارة من أبنية اندثرت، أو لم تُشيّد بعد، دعامات قد تكون جزءا من عمائر، بيد أنها هنا مجرد قضبان مقفلة، ذلك على الأقل ما يلمحه المشاهد في تركيبة "كبان إيكي" (2012) الذي تنقل بين معارض إسطنبول وبرلين والدوحة، حيث تنتصب خمسة هياكل حديد مفرغة، غير متماثلة الطول، متقاربة دون تخطيط لمسافة الفواصل، تتجلّى شبيهة بأقفاص، تنغلق على كتلة متضائلة حمراء، من خامة زجاج، يندلق بعضها من مشابك القَعْر، إلى الأرضية، مثل دم متخثر.

تُوجِدُ منى حاطوم نظائر مختلفة لقياسَ تحصين الداخل المفرغ، متوسلة تارة بتجهيزات عاتية أو متضائلة، وبخامات صلبة وأخرى شديدة الهشاشة، وأحيانا بمجرد عروض أداء جسدي أو أشرطة فيديو، لتعيد حبك سرديات الاقتلاع والتهجير وتشبث الذاكرات بماضيها والانجذاب إلى الأصول، والانزياحات المسترسلة للحدود، فتعيد تأويل العشرات من النصوص والتأملات النثرية والمحكيات التاريخية والشعريات المتصلة بأسطورة الفضاء والتباساته وهروبه، بمجازات بصرية لا تقل في مخاتلتها عن البلاغات اللفظية.

الإقامة في الوقت

لأن لا تحوير لمفهوم البيت وفضاءات الإقامة دونما استدعاء لحاضنة الوقت، فقد كان لمرتكز "الحركة" دور جوهري في هندسة الأشكال الفنية لمنى حاطوم، إنه الفعل المكتوم في التركيبات الموهمة بالثبات، داخل العروض المرتهنة لآلية الانتقال. الفضاء هنا مدمج في "ما بعد" انزياحه عن موقعه الأصلي، واستسلامه لقدر التحول، على نحو يستهدف "جعل الزمن والفكر بصريين" إذا استعملنا تعبير جيل دولوز (الصورة – الزمن، ص 27)، فليست المرايا وقطع الآجر والأسلاك المعلقة والكريّات البلورية إلا استعارات لمفارقة الثبات، والتعلق بما بعده، أي بتَخَلّلات فواصل السفر وعوارض الترحُّل المسترسلين عبر حلقات العمر، معنى لا يتصل بالتغريبة الفلسطينية وحدها، وإنما يدمجها في مصائر الأشباه والنظائر الإنسانية الممتدة في جغرافية الكون، وفي تاريخ الصراعات والحروب والاحتلالات.

يحمل أحد أعمال حاطوم الساعية لهندسة الإقامة في الوقت عنوان "معلّق" (2011)، تجهيزا من أراجيح متدلية من سقف غرفة، بسلاسل حديدية، تنتهي بألواح خشبية، حفرت عليها خرائط مناطق عمرانية لمدن شتى عبر العالم، خرائط متجاورة على نحو عشوائي لا نظام له، إذ تتقاطب طولا وعرضا، وبمسافات تكاد تكون متماثلة، تظهر الأراجيح في الصور ساكنة، وإن كانت منطوية على نذير الحركة المندفعة، بيد أن تقاربها يحد من قدرتها على التمادي، يجعل التصادم لا فكاك منه، مثلما هو حال الخروج القهري من الخرائط الحسية لأجل الإقامة في الحركة والوقت، للمنفي والمغترب المطرود من وطنه ومدينته وبيته، الذي يسكنه إيقاع التأرجح بين خرائط يعيشها ويعبرها، وأخرى يحملها في حقيبة سفره، وفي ذاكرته على حد سواء.

تبدو المدن وشوارعها ليست شيئا آخر إلا تلك الألبومات العائلية التي تصاحب المترحّل أنّى ذهب، إنه ينتمي إليها بقدر انتمائه إلى مرافئه الجديدة، لأجل هذا لا مفر من أن تصطدم الخرائط ببعضها، وتتداخل صورها أو تَنْثَلِم في الذاكرة، وتتغبش تدريجيا، فهي منذورة لحركة مصيرها الخَبو، قبل أن تكون ظاهرا مرئيا.

هنا مرة أخرى تستعيد الفنانة نزوعها إلى إكساب العوارض المحلقة في سماء المنافي الأبعاد الشبحية المرزئة، التي تجعل الشارع والغرفة والمقهى ومقر العمل ترتكس من عالم مُمْتَلَك إلى صور هاربة، إلى هالات سديمية تنهض من فجوات "ما بين" الحقيقة وتمثلات الذاكرة، وترافق ترددات المهاجر بينها وبين ما يعيشه، في حركة ذهاب وإياب ترافق مسار العمر، ورحلته في الزمن، قبل أن يتوقف في لحظة يبلغ فيها وَهَن الحركة ذروته؛ كما تعلمنا الأرجوحة والمجاز الكامن داخلها.

بعد عمل "مُعلّق" قدمت حاطوم تجهيزات الحركة على سطوح متباينة، وبخامات ممتدة من المعدن إلى الورق والشعاع، حمل أحدها عنوان "كومة آجر" (2019) ناقلة يدوية من معدن بأربع عجلات، تحمل أربعة صفوف من آجر، مرصوصة جنبا إلى جنب، يتكون طولها من مجموع خمس طبقات متراكبة عرضا، تَمْثُل واجهتها المخرمة للناظر كعمارة طينية، ينتابها تقعير في الوسط، على نحو متدرج بين الصف الثاني والثالث، تستدعي إلى الذهن مساكن الغيتو، وعمارات العمال المهاجرين في ضواحي المدن الكبرى.

هل لا تزال ثمة حاجة لتبرير الحركة الساكنة في الوجوه والجدران وتفاصيل الأثاث والأغراض المنزلية؟ يحتاج الأمر بالأحرى إلى تنويع نطاق تلك الحركة ومنحها فجوات أداء مختلف، يستحمل امتدادات المعنى واكتنازه، وهو ما يعكسه عمل المرآة في تخطيط محفور على سطح زجاج في لوحة حملت عنوان "أنت ما زلت هنا"، حيث يقول العمل الناقل لصورة الناظر إليه ما يعتمل في الذهن، ينقله بمفردات، لتجريد الصفحة من المظهر الطارئ للوجوه المحدقة، وجعلها تحمل عنوان ما توحي به "أنت لا زلت هنا"، هذا ما تقوله المرايا سواء كانت في محلها أو انتقلت إلى العشرات من الغرف عبر مدن العالم، فتهندس الإقامة في الوقت لا المكان، ومن ثم فلن تستغني عن إيحائها ولا مخاتلتها ولا إضمارها لوهم الثبات، إلا حين تتهشّم وتغيب.

تصفية الحساب

لا وجود لحركة دون معيقاتها وفواصل بين شظايا زمنها، وعوارض استرسالها، ذلك منطق الفعل ومجازاته التصويرية، لذا أوغلت منى حاطوم في بيان تجلّيات الإعاقة، وتنويع "حدّيتها"، فالحدود "تصمد بتحوّلاتها"، بتعبير رجيس دوبري و"هي لا تقهر، لأنه من الجيد التفكير بها" (في مديح الحدود، ص 37).

في غاليري ماكس هتزلر ببرلين، عرضت منى حاطوم سنة 2008 تجهيزا بعنوان "حديقة معلقة" متراسٌ من النوع المستخدم في الحروب وصراعات المدن، أكياس خيش محشوة ببذور، بدل الرمل والطين، عددها سبعمئة وسبعون، تمتد عرضا بما يوازي ثلاثة عشر صفا مزدوجا، وارتفاع يناهز سمك ثلاثة عشر شوالا، مرصوفة فوق بعضها، تَطْفُر من جنباتها وسطوحها فسائل البذور النابتة، فتكسوها بالأخضر الناعم.

تنزاح الحدود حاملة معها ثباتها وقدرتها على الرسوخ ومد الجذور، وتونع من صلب ما قد يبدو مؤقتا كالمتاريس، لتصير مع مرور الزمن جدرانا عاطفية تفصل بين الذوات برغم غيابها الحسي، إنها نابتة في القرار العميق، في بيروت وسراييفو وقبلهما برلين وقبلها بسنوات طويلة باريس لحظة كمونتها، وُضعت المتاريس لتحصين صفوف الدفاع عن الفرقاء المتحاربين، وللفصل بين عقائد وأهواء سياسية وانحيازات فكرية، ثم تلاشت المتاريس بعد ذلك لتعوضها معازل الداخل بين ذوات لم تصطنع الجسور بينها بسهولة.

ولأن المتاريس حدود مؤقتة، تبدو كأنها حجاب مجازي غير قابل للاختراق، مثلها مثل الأسلاك الشائكة الشائعة في العشرات من أعمال التجهيز والفيديو والأداء لدى منى حاطوم، يمكن أن تزاح أو تنقل أو يعاد ترسيمها وتوجيهها، إلا أنها تمثل في هيئتها الشبحية شرط بقاء في عالم يسرع الخطى نحو الانغلاق ومضاعفة الحجب والعوارض والفواصل والجدران، ذلك ربما ما سعت لتمثيله الفنانة الفلسطينية في عملها المعنون "غير قابل للاختراق"، حيث تتدلى الأسلاك الشائكة من السقف إلى حافة الأرضية، في خطوط متوازية شديدة التقارب في ما بينها، مشكلة مربعا من خيوط المعدن الضامرة والجارحة في آن، وغير قابلة للاختراق.

هي هناك لا تفتأ تتحصّن بسُمْكها برغم تخلّلات المساحة بينها وفواصل الضياء النافذة منها؛ على هذا المنوال يعاد تخييل تحولات التخوم واكتنازها، كما يُعرَّى تجريدها وتمنعها على العين، بيد أن الأسلوب التركيبي الموغل في الاختزال هنا يستهدف أيضا تصفية حساب مع ذاكرة شخصية لمنى حاطوم، هي التي اضطرت إلى البقاء في لندن فقط لأن الحرب الأهلية اجتاحت بيروت، واحتلتها المتاريس، لم يكن بمقدورها أن تفكر بعيدا عمّا يفترضه الخطاب البصري من تصفية للإيحاءات والاستيهامات، تصفية بمعنى الإعدام والغربلة معا.

اختراقات بصرية لما بعد الفن المفاهيمي

إذ يسعى الفن المعاصر عادة لتصفية الحساب مع الذات والمجتمع ومع الماضي والحاضر، عبر تنقيح الذكريات وتركيبها داخل نسق له منطق حكاية، ذلك ما ألمح إليه كريسيان بولتانسكي تحديدا حين أقرّ بأن "الذاكرة العاطفية اليومية، عكس الذاكرة الكبيرة المحفوظة في الكتب. هشة للغاية، وتختفي مع الموت، في الآن ذاته الذي تشكل تفرّدنا"، وهو ما قام به حين أعاد تركيب أرشيف الضحايا المجهولين في الحرب العالمية الثانية الذين حشروا في مدافن متباعدة خارج حدود انتماءاتهم الشخصية.

> أعمال الفنانة امتداد تركيبي يولّف بين السرديات المركزية عن الهجرة، والوضع القهري للنساء، والتمركز الغربي وغيرها من القضايا

في عبارة لأبي حيان التوحيدي يقول "وظاهر ما يرى بالعيان مفض إلى باطن ما يصدُق عنه الخبر" (الإمتاع والمؤانسة، ج:1، ص 23)، ونحن نعيد التأمل في أغراض المطبخ التي تتخذ أشكال أسرّة، وستائر مرعبة، وصحونا عملاقة، في اشتغال منى حاطوم نستوعب آلية "التصفية" قرينة الإعدام، في مصائر المقتلعين والمأخوذين إلى الشتات. إذ في العمق لا تقوم هذه المتعلقات اليومية سوى بتفتيت الكتل وعجنها وإخراجها من أضيق المنافذ، وتحويل اللحمة إلى شتات عصي على اللمّ، وبإعمال النظر في محمولها المجازي، ندرك حجم قساوتها وهجائيتها وعنفها الرمزي تجاه الذات والمحيط والعالم.

لا أظن أن فنانا معاصرا اختار حقل الكتابة بالبصري لمجرد البوح أو إفراغ ما يثقل الذاكرة، فالتصوير عيش بين ظلال الآخرين، واسترسال في تقليب أساليب بدأت منذ المئات من السنين، لكن الفن المعاصر على الأقل يضمن حرية الخروج، في لحظة ما، من تقاليد المنجز إلى احتمالات تخص إرادتنا الشخصية، هنا بالذات يمكن أن نقر بأن لا كتابة بالبصري دون رؤية فجائعية وهجائية للعالم.

العرب
الأحد 2022/03/06
السنة 44 العدد 12348

ستيفن سبيلبرغ يعود إلى الشاشة بفيلم مثير للجدل

«قصة الجانب الغربي».. مجتمع أميركي غارق في العنصرية وصراعات تحركها الموسيقى

لا يكاد يتم إنتاج فيلم جديد مبني على قصة فيلم سابق مأخوذ عن مسرحية أو رواية إلا وكان السؤال الذي يطرح مباشرة هو: ما الذي أضافه الفيلم الجديد وبماذا اختلف عن النسخة أو النسخ السابقة؟ والأمر نفسه ينطبق على فيلم "قصة الجانب الغربي" وهو آخر وأحدث أفلام المخرج الكبير ستيفن سبيلبرغ.

طاهر علوان
كاتب عراقي

في فيلمه الجديد "قصة الجانب الغربي" يلقي المخرج ستيفن سبيلبرغ بثقله السينمائي الهائل وموقعه في صدارة مخرجي هوليوود ليتوج منجزه بإعادة إنتاج تلك القصة السينمائية التي سبق إنتاجها.

"قصة الجانب الغربي" هي في حد ذاتها شاهد على حقبة من تاريخ السينما الأميركية وأجيالها وهي حتى الساعة تعد من بين قمم السينما الكلاسيكية الأميركية وما يزال الفيلم يجتذب إليه المزيد من المشاهدين وربما كان ذلك كافيا لكي يغوص سبيلبرغ في تلك المسرحية الموسيقية، فيأتي منها بحصيلة هي ما شاهدناه في هذا الفيلم على مدى قرابة ساعتين ونصف الساعة من الزمن.

يعود هذا العمل الذي عرض على مدى عقود على مسارح برودواي إلى المسرحية الغنائية التي كان قد ألفها الكاتب آرثر لورينتس (1917 – 2011) وأحد أنجح أعماله، وظهرت على المسرح للمرة الأولى سنة 1957 وكان لورينتس قد كتب بعد ذلك العديد من المسرحيات الغنائية والموسيقية ومنها "الغجر" 1959 و"كل شخص يستطيع أن يصفّر" 1964 و"هل أستطيع سماع والتز" 1965 وغيرها.

أما سينمائيا فقد نقلت إلى الشاشة في العام 1961 على يد المخرج روبرت وايز (1914 – 2005) وحصدت عدة جوائز أوسكار منها جائزة أحسن إخراج، وشغلت حينها الأوساط السينمائية وقد أدت الشخصية الرئيسية ماريا الممثلة ناتالي وود، التي كانت علامة فارقة بين نجمات هوليوود.

أجواء الكراهية

لنعد إلى النسخة الجديدة من "قصة الجانب الغربي" وهي توظيف من المؤلف للمسرحية الشكسبيرية العريقة روميو وجوليت، وهنا تسند كتابة السيناريو إلى توني كوشنير، وهو الكاتب الأميركي من أصول روسية – يهودية مهاجرة، وهو كاتب متنوع وغزير الإنتاج لكن منجزه في مجال كتابة السيناريو محصور نوعا ما بالكتابة لصالح المخرج ستيفن سبيلبرغ، إذ سبق وكتب له سيناريوهات أفلامه "ميونيخ" 2005 وفيلم "لينكولن" 2012 وفيلم "فيبلمانز" المقرر إنتاجه هذا العام.

ها نحن في وسط خراب يعم جانبا من مدينة أميركية، سنكتشف لاحقا أنها نيويورك، تظهرها المشاهد الأولى على أنها مجموعة من الخرائب التي تتنقل فيها الشخصيات وهم ثلّة من الشباب المتناحرين والمنقسمين إلى فريقين هما الأميركان في مقابل المهاجرين، وهم تحديدا أولئك المهاجرين اللاتينيين القادمين من بورتوريكو، ومنذ المشاهد الأولى تبدأ علامات وأجواء التوتر بين الفريقين.

يختار سبيلبرغ ممثليه بعناية فهم في هذا الفيلم من الفتيان والشاب وكل منهم معتدّ بنفسه ويدافع عن أفكاره بأي وسيلة متاحة وبما في ذلك اللجوء إلى العنف، وكالعادة في كلاسيكيات من هذا النوع سوف يحرص سبيلبرغ على إعادتنا إلى حياة وأجواء ستينات القرن الماضي بكل ما فيها من أجواء وموسيقى وغناء وأزياء وسيارات وما إلى ذلك.

الحوار بين الفريقين وبسبب طابع المسرحية ذاتها التي بني عليها السيناريو يكتسب شكل الحوار الغنائي على مدار الأحداث، وإذا أردنا أن نلخص مجريات الزمن الفيلمي الذي تعدى الساعتين ونصف الساعة فإننا لن نغادر المنازلات المتكررة بين الأميركان والمهاجرين، ولكن وفي وسط أجواء العنف سوف تنشأ علاقة رومانسية بين ماريا (الممثلة راتشيل زيغلر) وتوني (الممثل أنسيل إيلغورت) وهي علاقة حب في المكان والزمان الخاطئين فدرجة الكراهية بين المجتمعين لا تتيح مثل تلك العلاقة العاطفية، ولهذا يفكر الحبيبان بترك ذلك المكان والهرب إلى بقعة أخرى يستطيعان فيها أن يعيشا حياتهما.

بالطبع هنالك من سوف يتفاعل مع هذا الجو الرومانسي وتلك الحوارات المغرقة في الشغف الوجداني، لكن في المقابل سوف يلامس المد العنصري وأجواء الكراهية مما لا يمكن تجاوزه أو التغاضي عنه بينما يتم تقديم الشرطة على أنها ذات دور هامشي وكأنها راضية عما يجري أمامها من منازلات بين الجانبين.

وفي خلال ذلك يبرز دور بيرناردو (الممثل ديفيد الفاريز) وهو شقيق ماريا وهو قطب أساسي في ذلك الصراع بينما يكون كل من توني وماريا هما بمثابة حمامتي سلام ويريدان للجميع أن يتعايشوا بلا مشكلات ولا صراعات، وهي تمنيات تذهب أدراج الرياح مع تصاعد الكراهية بين الطرفين والذي تصبح فيه تلك العلاقات الودية بلا معنى خاصة مع جيل من الشباب مفتولي العضلات والذين لا يفعلون شيئا خلال يومهم غير التربص بخصومهم قصد الانتقام والاقتصاص منهم، وليس أقل من عودة البورتوريكيين من حيث جاؤوا.

بالطبع وعلى الرغم من المعالجة الرومانسية التي قدمها الفيلم وخاصة المخرج وكاتب السيناريو، إلا أن فجاجة العنصرية بدت طافحة وتم تأطيرها في حدود أولئك الشباب دون الغوص في الظاهرة في أوساط السياسيين أو الرأي العام، وبذلك اقتطع ذلك العالم الغامض قسريا عما حوله وفيما القاطنين فيه يجترون في كل يوم نوازعهم العدوانية ومشاعر الكراهية التي تشتعل في داخل كل منهم.

هذه الإحالات مجتمعة صاغها سبيلبرغ بأسلوبه عالي الاحتراف ليجردها مما فيها من سموم قدر المستطاع ويظهر المسألة لا على أنها من بنيات الصراع في المجتمع الأميركي وما تتبعه من أصداء عنصرية كريهة عرفت بها الولايات المتحدة على مدى قرون، وليس آخرها فصول الصراع مع الأميركان من أصول أفريقية في إطار ما عرف بحركة الحقوق والحريات المدنية والتي سقط على محرابها حتى الآن الآلاف من الضحايا.

هو وجه آخر للولايات المتحدة حاضنة المهاجرين وبلد الهجرة بامتياز وإذا بها تناقض نفسها بنفسها في مناوئة المهاجرين واضطهادهم وإساءة معاملتهم واحتقار أصولهم، وهي الصرخة المكتومة التي بقيت تتردد طيلة أحداث هذا الفيلم، بل إن سبيلبرغ أراد من خلال فيلمه توجيه رسالة خلاصتها أن الطرفين هما ضحايا العنصرية وهما اللذان يدفعان الثمن باهظا بسبب الأفعال العنصرية الصادرة من أي طرف كان.

وأما من الجهة الأخرى التي تظهر فيها شخصيات لا تنتمي جديا لذلك النوع من الكراهية سواء من الأميركان البيض أو اللاتينيين فإنهم لا يمكن أن يعبروا عن أنفسهم بسهولة بسبب حدة حالة الاستقطاب وشدتها، والتي يلامسها هذا الفيلم ويكرسها على أنها ظاهرة في حد ذاتها ولا تجدي معها النوايا الطيبة ولا حسن النوايا.

نار الخراب العنصري

يحشد سبيلبرغ لتقديم فكرة السخرية من الكراهية الصبيانية الموسيقى والمؤثرات والرقصات التعبيرية والحوارات ذات الطابع الشعري والأزياء المتميزة والألوان الحارة، كلها من أجل انتشال تلك الدراما من مسارها الخطي المباشر القائم على فكرة الاقتتال الشرس والصراع بين الشخصيات من الفريقين، لكن في كل مرة سوف نشهد شراسة المواجهة فننشغل بحدة الصراع ونزعة الانتقام التي تتفاعل في داخل الشخصيات التي تبدو بلا أمل ولا مستقبل ومنشغلة على الدوام.

فمن ضمن فريق سبيلبرغ وترسانته يبرز جون ويليامز المؤلف الموسيقي البارع الذي سبق وتعاون معه في فيلم "إمبراطورية الشمس" (1987) وفيلم "الحديقة الجوراسية" (1993) وقبل ذلك في أفلام "لائحة شاندلر" و"ميونخ" وغيرها من الأفلام، وبالطبع تم توظيف تلك الموسيقى أوركستراليا، ولهذا تضخمت طبقات الموسيقى والغناء الجماعي في هذا الفيلم وصارا علامة فارقة فيه إلى درجة أن الذروات المهمة والاستثنائية والتدرج الموسيقي للوصول إليها لم تعد تلحظ بشكل مباشر بسبب اكتناز "تراك" الصوت بالكثير والكثير مما عج به هذا الفيلم.

وأما على صعيد المراجعات النقدية للفيلم فيمكننا التوقف مثلا عند ما كتبه ريتشارد برودي الناقد السينمائي لمجلة ذي نيويوركر، الذي قال في مقال له إن النسخة الجديدة من فيلم قصة الجانب الغربي لسبيلبرغ في الواقع يمكن اعتبارها أنها أسوأ من النسخة الأصلية إذ قدم سبيلبرغ إضافات مضللة وأزال الكثير مما هو أفضل في ذلك العمل المتميز.

هذا الفيلم الموسيقي عن الحب والتنافس العرقي بين عصابات مدينة نيويورك وبالتعاون مع كاتب السيناريو توني كوشنر، حاول سبيلبرغ إصلاح الجوانب المشوهة لفيلم عام 1961، بما في ذلك تصويره المتعجرف للشخصيات القادمة من بورتوريكو مع التركيز على الصور النمطية لنيويورك التي تتميز بالقسوة الشديدة.

ويضيف الناقد أنه بدلا من إعادة تصوير القصة بجمالياتها وعناصرها المؤثرة، نجد أنهم قاموا بتدعيمها بدعامات جديدة واهية من علم الاجتماع وشيء من علم النفس، إلى جانب إعادة ترتيب طفيفة. الخلاصة أنهم أجروا إضافات غير مدروسة ومراجعات مضللة لم تكن في صالح الفيلم.

بالطبع يمكن توقع مثل هذا النوع من الهجوم على الفيلم وخاصة من طرف الذين يشكل الفيلم بنسخته الكلاسيكية علامة فارقة جديرة بالتأمل والاستمتاع بالمشاهدة وهو ما عجز سبيلبرغ كما يبدو عن التشبث به، فلجأ إلى إنتاج نسخة موازية مختلفة نوعا ما عن الأصل الذي بنيت عليه أحداث القصة أو المسرحية الغنائية.

بالطبع هنالك من أضاف إلى الهنات ونقاط الضعف التي وقع فيها الفيلم لجهة جلب كل أولئك الممثلين الشباب ومنهم الممثلة الشابة راتشيل زيغلر مثلا حيث أن هنالك من لا يجد وجها للمقارنة بينها وبين بطلة فيلم روبرت وايز الممثلة اللامعة ناتالي وود، وهذه الإشكالية تتكرر في نوع الأفلام التي تتم إعادة إنتاجها بمعالجات سينمائية ووجوه جديدة، وتوجه الجمهور والنقاد على السواء إلى عملية المقارنة التي لا يمكن الخروج منها إيجابيا في أغلب الحالات لصالح الفيلم الجديد.

أما الناقد السينمائي ديفيد فير في موقع رولينغ ستون فإنه يشير إلى جانب إشكالي آخر من منطلق الاستهلال الذي بدأ به الفيلم إذ ليست هنالك لا طائرات ولا كائنات فضائية ولا أسماك قرش كما هو المعتاد في أفلام سبيلبرغ، هنالك صورة مدينة نيويورك، أو بالأحرى، مدينة نيويورك التي هي في طور التلاشي فالحفر والتهديم ينتشران في كل مكان، هنالك أجزاء تُمحى بعيدا، وتنحسر بعيدا في ثنايا التاريخ.

> **سبيلبرغ يحرص على إعادتنا إلى حياة وأجواء ستينات القرن الماضي ليثير قضية العنصرية وكراهية المهاجرين بطريقة مختلفة**

ويضيف الناقد أنه عندما تدور الكاميرا وتلتف حول المباني المهدمة، سوف نمر عبر لافتة مصورة في موقع بناء: مركز لينكولن. حيث يتم هدم المنازل التي كانت تعيش فيها العائلات البورتوريكية في ذلك الوقت حتى يتمكن الأثرياء والأقوياء من مشاهدة الأوبرا.

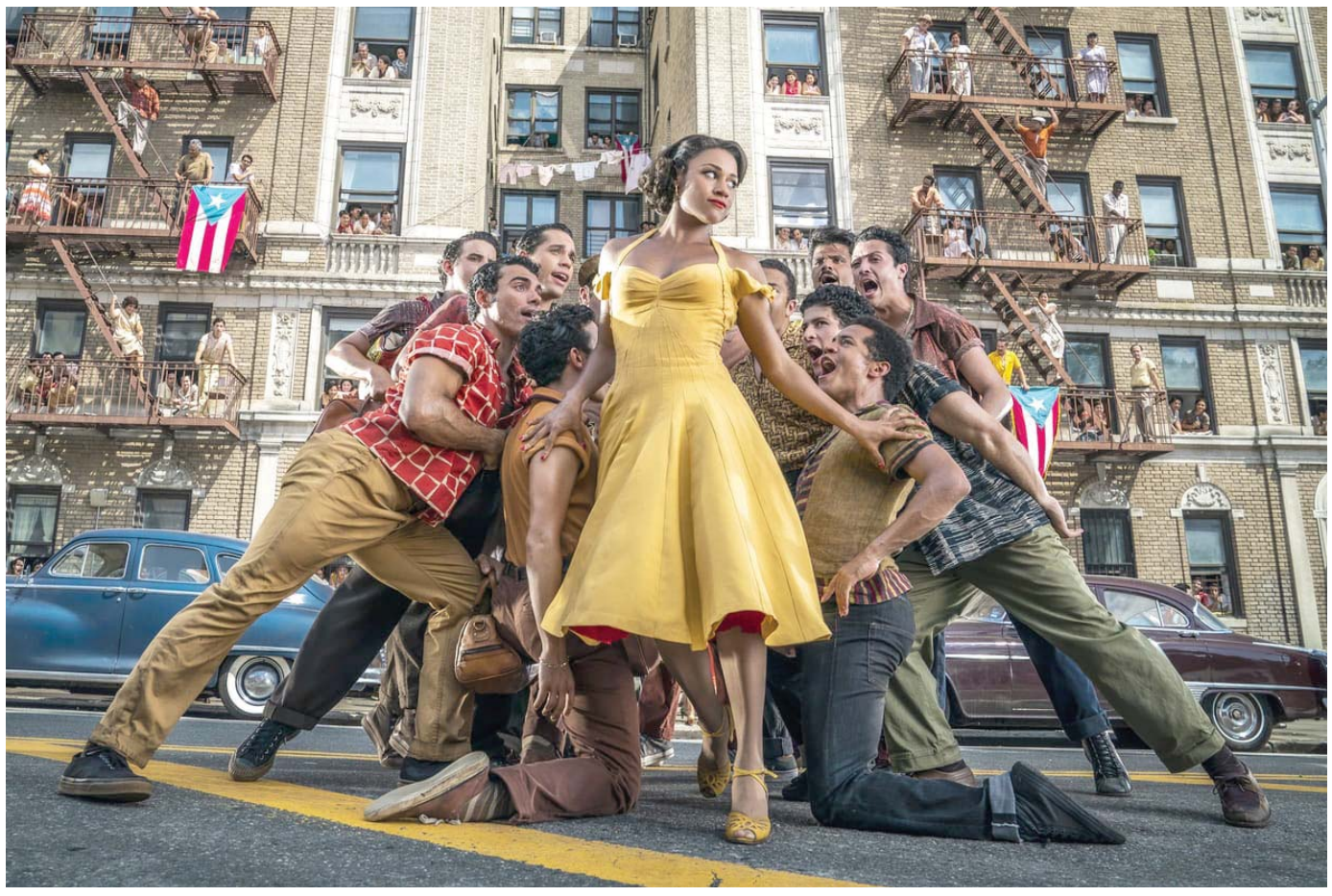

خلف الوجه البراق صراعات عنصرية دامية

علاقة حب في المكان والزمان الخاطئين

تتقاتل مجموعتان هم بضعة شباب أميركان ومثلهم من بورتوريكو، لكن النتيجة هي أنه قد تم كسب معركتهم بالفعل من قبل طرف ثالث، إنه تعايش مع طرف ليس منتصرا هامشيا ولكن مع البيروقراطية والجرافات. وفي النهاية تغني الطائرات أغنية النصر الخاصة بهم كملوك الجبل على قمة كومة من الأنقاض.

هذه الملاحظات النقدية تكشف عن جانب آخر مكمل وهو الأرضية التي بنيت عليها القصة السينمائية وهو أمر فيه كثير من المواقف والتجارب الحساسة، ذلك أن انتفاضة أولئك الشباب القادمين من بورتوريكو ولنقل غضبهم من الواقع الذي يعيشون فيه إنما جاء على خلفية ووقائع محددة هي التي استهل سبيلبرغ فيلمه بها، وهو ذلك الاعتداء الصارخ عليهم لكي يتم استحداث مواقع بناء لمشاريع ضخمة مما عزز الأرستقراطية الأميركية فيما ضرب الفئات الأكثر فقرا في الصميم وبلا رحمة.

وعلى هذا كانت التحولات المرتبطة بالشخصيات تكتسب في الغالب ومن خلال مسار الأحداث طابعا جماعيا فالكل يخضعون لنفس التأثيرات، ولهذا شاهدنا المجموعتين المتقابلتين من المهاجرين والأميركان لا تكاد تميز أفكار الواحد منهم عن الآخر، وإنما هم ينشدون ويتحدثون وكأنهم بصوت واحد ويعبرون عن وجهة نظر واحدة وهم يتجمعون في كل مرة وخلال المسار الفيلمي إما للاقتتال في ما بينهم أو لإطلاق أغنية ما تأتي وكأنها تعليق على مسار الأحداث. الفاعلون الدراميون المهمون في هذا الفيلم شباب منشغلون بفرض إرادة كل منهم على الآخر، المهاجرون يصرخون أهذه هي الولايات المتحدة؟ بشعاراتها البراقة عن العدل والمساواة فهي أقرب إلى المستنقع العنصري الآسن وأما الأميركان أنفسهم فإن واجبهم الوطني المقدس يتطلب منهم التصدي لأولئك الأجانب بأي ثمن كان وعدم المهادنة معهم بأي شكل من الأشكال.

هذا التحول في الرؤية إنما أراد المخرج من خلاله التأشير إلى ظاهرة اجتماعية شاملة وليس مجرد مواقف فردية عابرة، وكأن أصوات العنصريين تجد لها صدى في داخل المجتمع نفسه وأما أولئك المهاجرون فكأنهم خط الصد الأول في وجه التيارات القاتلة من الذين يكرهون المهاجرين ويمكنهم الانتقام منهم بأي وسيلة ممكنة.

على وفق هذه الموازنة ذهب سبيلبرغ بعيدا في الخوض في هذه الإشكالية ومن دون الخلاص منها.

في المقابل هنالك النهاية التراجيدية التي بدأت بالمواجهة بالسكاكين والعصي الحديدية بين شباب الطرفين وهي ظاهرة غير مسبوقة سوف تؤدي في النهاية إلى مقتل اثنين من الجانبين، وبينما يحاول أنطون الهرب سوف يتلقى هو الآخر نصيبه من الرصاص بينما هو يوشك على أخذ حبيبته والنجاة من تلك البلاد في مشهد ختامي فاجع، ما لبث أن طوره المخرج إلى مشهد تشييع اجتمع حوله الأميركان والمهاجرون في مسيرة صامتة علها تكون كافية لإطفاء نار تلك الخراب العنصرية المستعرة.

ستيفن سبيلبرغ في سطور

- في صدارة مخرجي هوليوود من مواليد 1946 وتتصدر أفلامه قائمة الأفلام الأكثر رواجا تجاريا.
- حاصل على ثلاث جوائز أوسكار من بينها جائزتا أوسكار عن أحسن إخراج.
- عرف بأفلامه التي أسست اتجاها في مسار السينما الأميركية والعالمية وذلك ابتداء من فيلم "الفك المفترس" 1975 ثم فيلم "مواجهات من النوع الثالث" 1977 ثم فيلم "إي.تي" 1982 ليتوج ذلك النجاح بسلسلة أفلام إنديانا جونز ذائعة الصيت.
- منح لسينما الخيال العلمي مساحة مهمة من أعماله السينمائية منتجا ومخرجا ومنها أفلام "الحديقة الجوراسية" و"حرب العوالم" و"الذكاء الاصطناعي" و"تقرير الأقلية" وغيرها من الأفلام.
- أسس مع آخرين شركة أمبين للترفيه والتي أنتج أو شارك في الإنتاج من خلالها في العديد من المسلسلات والأفلام.
- أخرج حتى الآن أكثر من 35 عملا، وصنف على أنه واحد من أهم مخرجي هوليوود والمخرجين العالميين، ودخلت العديد من أفلامه في قوائم أهم 100 فيلم في تاريخ السينما كل بحسب نوعه الفيلمي.
- فيلمه القادم والذي يعمل عليه حاليا عن سيرته الذاتية ومراحل طفولته الشخصية وأسرته.

شبكة الجيل الخامس تعد بمراعاة البيئة

ارتفاع استهلاك الكهرباء بسبب الزيادة في استخدام البيانات والوظائف

الصناعة التكنولوجية كغيرها من الصناعات التي تساهم في التلوث البيئي لذلك تحاول الشركات العاملة في هذا القطاع أن توضح أنها في الطريق إلى الصناعة الخضراء ومع توسع الجيل الجديد من الاتصالات تزداد الوعود بتقديم اتصال فائق السرعة بالإنترنت توازيا مع ادعاءات بفوائد كبيرة على البيئة.

استهلاك للطاقة

أجهزة وهواتف

برشلونة (إسبانيا) – لطالما حاول قطاع التكنولوجيا التجاوب مع متطلبات الحركة البيئية العالمية، لكنّ قادته يواجهون باستمرار اتهامات بإطلاق وعود فضفاضة وقطع تعهدات يصعب اختبارها عمليا.

وقد تخلّل معرض برشلونة للأجهزة المحمولة بالتأكيد بعض الترويج لشعارات بيئية رنانة، فيما حاولت شركات مثل هواوي وأورنج والاتحاد العالمي لمشغلي الاتصالات "جي أس أم إيه" توضيح بعض المزايا "الخضراء" لشبكة اتصالات الجيل الخامس (جي 5).

> الكثير من الأبحاث بشأن الآثار المترتبة على استخدام الطاقة لشبكة الجيل الخامس تتوقف فقط عند الطاقة التشغيلية

ويتوسع نشر هذا الجيل الجديد للاتصالات المحمولة في جميع أنحاء العالم، مع وعود بتقديم اتصال فائق السرعة بالإنترنت توازيا مع ادعاءات بفوائد كبيرة على البيئة.

وقاد لورنس وليامز من جامعة ساسكس البريطانية أخيراً بحثا لتقييم الأدلة المتاحة بشأن المنافع البيئية المفترضة لشبكة الجيل الخامس. وقد شرح الطريقة التي تراكم فيها الشركات العاملة في القطاع هذه الادعاءات.

وأشاد جان ماري شوفري من شركة "أورنج" الفرنسية للاتصالات بميزات التوفير في استهلاك الطاقة في الجيل الخامس، بينها ميزة "السكون" التي يتوقف خلالها تشغيل المكونات عند عدم استخدامها، إضافة إلى زيادة فعالية الهوائيات والأجهزة الأخرى على صعيد توفير الطاقة.

وقال خلال معرض برشلونة للأجهزة المحمولة إن شبكة الجيل الخامس ستكون "أكثر كفاءة بعشر مرات" من الجيل الرابع بحلول العام 2025.

وأوضح لورنس وليامز أن "كفاءة الطاقة لا تمثل سوى نصف المعادلة. ومن الواضح أن الحجم الإجمالي لحركة البيانات التي يتم نقلها عبر شبكات الهاتف المحمول مهم أيضاً".

وأضاف "يُتوقع أن تستمر حركة بيانات الهاتف المحمول في النمو بشكل كبير في السنوات المقبلة. ومن المسلّم به بشكل متزايد أن شبكة الجيل الخامس ستكون جزئياً على الأقل السبب في نمو حركة البيانات هذه".

وأشار وليامز إلى أنه "تم وضع تقديرات مختلفة من قبل القطاع، إذ يشير البعض إلى أن استهلاك الشبكات للطاقة سينخفض، ورأى البعض الآخر أن هذا الاستهلاك قد يظل ثابتا، فيما ذكر تقدير واحد على الأقل أن استهلاك الشبكات للطاقة سيرتفع بسبب الجيل الخامس".

وتابع "قدرت دراسة فنلندية حديثة أن استهلاك الكهرباء لشبكات الهاتف المحمول الرئيسية في عام 2017 كان أعلى بنسبة 10 في المئة تقريباً مما كان عليه في عام 2010.

ويقول معدو الدراسة إن "هذا الأمر حصل بسبب الزيادة السريعة في استخدام البيانات والوظائف الجديدة، خصوصا خدمات الفيديو بالبث التدفقي".

ويفاخر إيمانويل كولتا من اتحاد "جي أس أم إيه" بأن شركات الاتصالات كانت "من بين شركات القطاع الخاص الرائدة" في الالتزام ببلوغ هدف تحقيق الحياد الكربوني.

وقد رسم القطاع الطريق لتحقيق هذه الأهداف من خلال اعتماد الطاقة المتجددة واستخدام بطاريات أكثر كفاءة والاعتماد على الذكاء الاصطناعي لوقف تشغيل المكونات في الفترات التي تشهد إقبالا ضعيفا على خدمات الاتصالات.

وقال لورنس وليامز "من المشجع أن تشترك شركات الاتصالات بشكل متزايد في أهداف المناخ وتلتزم استخدام الطاقة المتجددة لتشغيل شبكاتها".

وأضاف "بينما زوّد بعض المشغلين أصلا شبكاتهم بالطاقة المتجددة بنسبة 100 في المئة، خلصت دراسة معيارية لعام 2021 من اتحاد 'جي أس أم إيه' إلى أنه من خلال معاينة أوضاع 31 شبكة في 28 دولة مختلفة، تبيّن أن 46 في المئة من استهلاك الطاقة في المعدل مرتبط بمصادر للطاقة المتجددة مع تباين كبير بين البلدان".

وشدد وليامز على أن "الطاقة التشغيلية المطلوبة لتشغيل شبكات المحمول مهمة، لكن ذلك يسري أيضا على الطاقة الضمنية المطلوبة لإنتاج البنية التحتية للشبكة".

وأشار إلى أن "الكثير من الأبحاث بشأن الآثار المترتبة على استخدام الطاقة لشبكة الجيل الخامس تتوقف فقط عند الطاقة التشغيلية".

وأضاف "على الأقل، يجب أن تكون لدينا شكوك بشأن إمكانات توفير الطاقة المزعومة للاستراتيجيات التي تتطلب اعتمادا واسع النطاق للبنية التحتية الجديدة بناءً على التقييمات التي لا تراعي تكاليف الطاقة الضمنية لتلك البنية التحتية".

وأكد دوان هاو من هواوي على أهمية ما يسمى بتأثير التمكين الذي قال إنه "سيسرع الرقمنة وإزالة الكربون في كل القطاعات".

وتكمن الفكرة في أن تحسين الاتصالات سيسمح للمزيد من الخدمات والأنشطة بالانتقال عبر الإنترنت، ما يقلل من استهلاك الطاقة من قطاعات النقل وصناعات أخرى.

وتشير بعض تقديرات القطاع إلى أن شبكة الجيل الخامس تسمح بتوفير الطاقة 1/10، أي أن كل وحدة طاقة مستثمرة في جي 5 ستوفر 10 وحدات أخرى.

ولفت لورنس وليامز إلى أن "دراسة أجرتها جامعة زيوريخ تضع هذه النسبة عند مستوى أقرب لـ1/3، وذلك بالاستناد خصوصا على أشكال العمل المرنة والشبكات الذكية والزراعة الدقيقة". وأضاف "مع ذلك، فقد حذر آخرون من أن تحسينات الكفاءة المرتبطة بتقنية الجيل الخامس قد تؤدي ببساطة إلى زيادة استهلاك سلع أو خدمات معينة أو قد تكون بديلاً جزئياً للسلع أو الخدمات القديمة. ولا يزال بإمكان الأشخاص حضور الاجتماعات الحضورية وشراء الموسيقى المادية بموازاة حضور المؤتمرات عن بعد والاستماع إلى الموسيقى بالبث التدفقي".

وتابع وليامز "حتى لو أنتجت شبكة الجيل الخامس تأثيرات تمكين تتجاوز انبعاثاتها، فإن ذلك لا يعني بالضرورة أنه يمكن السماح لمشغلي الشبكات بتحقيق مستويات أقل من خفض الانبعاثات".

وأضاف "من الصعب تقدير أو قياس آثار التمكين، ويجب وضع آليات ومبادئ محاسبية واضحة لضمان الاتساق مع ميزانيات الكربون وسياسة المناخ".

شركات السيارات تتسابق لدمج موديلاتها في ألعاب الفيديو

أمستردام – تستثمر شركات تصنيع السيارات مثل بورشه وفورد ومازدا أكثر فأكثر في ألعاب سباقات السيارات، سعيا منها لجعل سائقي المستقبل، لاعبي اليوم، يتأثرون في أصغر سن ممكنة بمركبات قد يقودونها فقط في نسختها الافتراضية.

وتشمل السيارات الـ400 في لعبة "غران توريسمو" المرجعية في المجال والتي طُرحت نسختها السابعة الجمعة على أجهزة "بلاي ستايشن" طرازات من مختلف المصنعين العالميين، من فيراري إلى تويوتا مرورا بسيارات ميني أو بيجو أو تسلا، في دمج بين الطرازات المعروفة تقليديا وتلك الاستشرافية.

وتعتبر لعبة "غران توريسمو" الرياضية أول تجربة سباقات في العالم يتم بناؤها من الألف إلى الياء لجلب مسابقات عالمية على الإنترنت يتم قبولها من أعلى هيئة حاكمة لرياضة السيارات الدولية وهي الاتحاد الدولي للسيارات.

ويقول مسؤول العلامات التجارية في وكالة "أنزو" المتخصصة في الإعلانات في ألعاب الفيديو هندريك منز إنه "حصل تغيير في أسلوب التفكير. ففي تسعينات القرن العشرين كانت هناك حاجة إلى مفاوضات طويلة مع الماركات قبل أن تمنحنا الحق في استخدام سياراتها" في ألعاب الفيديو.

دعاية وتجارب

لكن في قطاع بات يدرّ أموالا تفوق تلك المتأتية من السينما والموسيقى "باتت العلامات التجارية تدفع مبالغ بملايين من الدولارات أو عشرات الملايين لتظهر في بعض الألعاب. هذا يوفر لها منصة رائعة للظهور. وإذا ما كان المنافسون موجودين، فلا يمكن تاليا الغياب عن هذه الألعاب"، بحسب منز.

وقال مبتكر لعبة "غران توريسمو" كازونوري ياماوتشي "نتعاون مع المصنعين حتى خمس سنوات قبل طرح اللعبة تبعا للمركبات التي يريدون إطلاقها. هم يرسلون لنا كميات هائلة من البيانات".

وبالنسبة إلى لعبة "غريد ليجندز" منافسة "غران توريسمو" الموجهة إلى جمهور أعرض "ثمة قائمة طويلة بالسيارات المثالية، لكن أسعارها متباينة"، وفق ستيفن براند مدير الإبداع المساعد في شركة "إلكترونيك آرتس" المطورة للعبة. وفيما دفعت علامات تجارية مثل "أريل" و"توشك" لتظهر في اللعبة، كان سعر تسلا باهظا للغاية.

وقال براند "فريقنا المكلف باتفاقات الشراكة يتناقش قبل وقت طويل مع المصنّعين الذين قد يشاركون في اللعبة أم لا تبعا لفكرتها"، مضيفا "هم يطلبون أحيانا شكلا معينا، أو يطلب آخرون أحيانا أن تكون طرازاتهم أكثر قدرة على مقاومة الحوادث". وترى شركات السيارات أن الطريقة الوحيدة لاختبار وقيادة السيارات الرياضية ذات الأداء الفائق على حلبات السباق هي ألعاب الفيديو المخصصة لعشاق هذه الرياضة المليئة بالحماس، وتسمح شركات الألعاب مثل سوني من خلال "غران توريسمو" الشهيرة للاعبين بقيادة مجموعة واسعة من المركبات غالية الثمن في العديد من الأماكن المختلفة باستخدام الغرافيك والتقنيات التكنولوجية الحديثة.

وتبعا للماركات يمكن أن يكون رهان المصنعين قصيرا أو طويل المدى، إذ أن لاعبي ألعاب الفيديو الذين يتخطى معدل أعمارهم الثلاثين، هم من الزبائن المحتملين لشركات السيارات.

كما أن العلامات التجارية تصون أيضا صورتها من خلال إشراك لاعبين أصغر سنا، مع طرازاتها التقليدية أو الحصرية. ويحصل ذلك كله مع استثمارات أقل بكثير من صيانة فريق لسباقات الرالي أو الفورمولا واحد.

وقد أقامت فورد من جانبها علاقة مميزة مع منافس "غران توريسمو" على أجهزة "إكس بوكس"، وهي سلسلة "فورزا".

وقال مدير عمليات هذه اللعبة في أوروبا إيمانويل لوبراني "لم نعد نعمل على كسب ثقة جمهور أصغر سناً من عملائنا التقليديين في هذه اللعبة". وقد أنشأت العلامة التجارية فريق القيادة الافتراضي الخاص بها "فوردزيلا"، بالإضافة إلى سيارة نموذجية بناء على رغبات اللاعبين تحمل اسم "بي 1".

كما دخلت بورشه التي كانت ترفض الظهور في لعبة "غران توريسمو" لصالح منافستها "نيد فور سبيد" في شراكة عام 2017 مع ناشر اللعبة الياباني، فبعد هوندا وألبين وجاغوار طورت العلامة التجارية الألمانية في نهاية عام 2021 علامة افتراضية لسيارة سباق استُخدمت على غلاف لعبة "غران توريسمو 7".

وباتت العلامات التجارية تتخطى بشكل متزايد حدود ألعاب المحاكاة الكلاسيكية. ففي عام 2021 ظهرت سيارة تسلا في لعبة "باتلغراوند بلاير أناون إس" الشهيرة على الإنترنت (المعروفة اختصارا بـ"ببجي")، وتلتها شركات السيارات الخارقة "ريماك" و"كوينيغسيغ"، كذلك ضمت لعبة "فورتنايت" المنافسة لـ"ببجي" سيارة فيراري من بين سياراتها الخيالية.

وقال هندريك منز من شركة "أنزو" إنه "كان من الطبيعي تماما أن تبدأ ماركات السيارات بألعاب السباقات، لكن إذا كنت تريد الوصول إلى جمهور أصغر سنا (أي أولئك الذين تقل أعمارهم عن 13 عاما)، فعليك الذهاب إلى ألعاب الرماية".

كما سمحت منصة ألعاب "روبلوكس" المحببة لدى الأطفال لشركة هيونداي الكورية الجنوبية بالترويج لسياراتها الكهربائية والهيدروجينية التي تدخل ببطء إلى عالم الألعاب مع الإعلان عن قرب نهاية الاستعانة بالمحركات الحرارية.

العرب
الأحد 2022/03/06
السنة 44 العدد 12348

الرياضة في الكِبر تحافظ على اللياقة البدنية وتعزّز الصحة النفسية

ركوب الدراجات رياضة تحمّل مناسبة لكبار السن والسباحة تقوّي جهاز القلب لديهم

ينصح خبراء اللياقة البدنية بضرورة ممارسة التمارين الرياضية عند الكبر وذلك لما لها من فوائد جسدية ونفسية. وتعد رياضة ركوب الدراجات رياضة تحمل مناسبة لكبار السن، كما أن السباحة تقوي جهاز القلب والأوعية الدموية لديهم. ويندرج الغولف ضمن الرياضات المناسبة جدا لكبار السن؛ نظرا لانخفاض خطر الإصابة أثناء ممارسته.

ركوب الدراجة يحمي من تدهور صحة الغضاريف في المفاصل

بايربرون (ألمانيا) – أكدت الجمعية الألمانية لمساعدة كبار السن على أهمية المواظبة على ممارسة الرياضة في الكِبر للحفاظ على اللياقة البدنية والذهنية وتعزيز الصحة النفسية.

وتساعد ممارسة التمارين الرياضية في الحد من المشكلات الصحية، بما في ذلك ضغط الدم المرتفع والسكري والتهاب المفاصل. وتوضح الأبحاث التي أجريت على الاكتئاب والتوتر وعلاقتهما بممارسة الرياضة أن الفوائد النفسية والبدنية للرياضة يمكن أن تساعد في تحسين الحالة المزاجية وتقلل الشعور بالقلق.

وأوضحت الجمعية أن السباحة تعد رياضة تحمل مناسبة لكبار السن بسبب انخفاض خطر الإصابة أثناء ممارستها، كما أنها تعمل على تقوية جهاز القلب والأوعية الدموية وتدرب العضلات دون إجهاد المفاصل. لذلك تعتبر السباحة أيضا مناسبة جدا للأشخاص الذين يعانون من زيادة الوزن.

وتعد التمارين الرياضية المائية مناسبة أيضا للحفاظ على اللياقة البدنية في مرحلة الشيخوخة؛ ذلك أنها تعمل على تقوية العضلات وزيادة قوة التحمل. وبسبب الطفو تحت الماء تتم إراحة المفاصل والأربطة والأوتار وحمايتها. بالإضافة إلى ذلك تؤدي مقاومة الماء تلقائيا إلى استهلاك سعرات حرارية أعلى مقارنة بالعديد من وحدات التدريب الأخرى.

ويعتبر ركوب الدراجات أيضا رياضة تحمل مناسبة لكبار السن؛ حيث تعمل هذه الرياضة على تنشيط القلب والدورة الدموية والتمثيل الغذائي، كما أنها تحمي من تدهور صحة الغضاريف في المفاصل.

والتدريب على الأجهزة الرياضية مفيد للغاية بعد التقدم في العمر؛ ذلك أنه يعمل على بناء العضلات وزيادة القوة والتنسيق ودعم حركية المفاصل.

ويندرج الغولف ضمن الرياضات المناسبة جدا لكبار السن؛ نظرا لانخفاض خطر الإصابة أثناء ممارسته، كما أنه مناسب للأشخاص الذين يعانون من مشاكل القلب والدورة الدموية، ولكن بعد الاستشارة الطبية. ويعمل الغولف على بناء العضلات وتقوية جهاز المناعة وتحسين الحالة النفسية.

ويعد الرقص من الرياضات المفيدة جدا لكبار السن؛ ذلك أنه يساعد في الحفاظ على اللياقة البدنية من خلال تدريب العضلات والمهارات الحركية من ناحية، ويعمل على تعزيز النشاط الذهني من ناحية أخرى.

وبشكل عام تنبغي على كبار السن استشارة الطبيب الخاص بهم للحصول على الموافقة على ممارسة الرياضة، مع مراعاة الإنصات لإشارات الجسم والتوقف عن ممارسة الرياضة في حال ظهور أية أعراض تدق ناقوس الخطر مثل الشعور بالدوار والإغماء.

على كبار السن استشارة الطبيب للحصول على الموافقة على ممارسة الرياضة، مع مراعاة الإنصات لإشارات أجسامهم

ويؤدي التقدم في العمر إلى حدوث تراجع تدريجي في القدرات الأساسية للجسم مثل كتلة وقوة العضلات لدى الرجال والنساء على حد السواء؛ فبداية من العقد الرابع من العمر يفقد الإنسان من 3 في المئة إلى 5 في المئة من حجم العضلات. ويصل هذا الانخفاض إلى 1 في المئة كل عام من بعد سن الـ50 سنة.

وتحافظ العضلات على وزن الإنسان وتساعد على دعم العظام وجعلها قوية، لذلك عند فقد العضلات يفقد الإنسان قوته وحركته ويصبح غير قادر على أداء وظائف حياته الأساسية.

وقد وجدت الكثير من الدراسات أن القيام بممارسة تمارين رياضية لكبار السن أمر مفيد جدا، كما أن القيام بتمارين اللياقة البدنية بشكل منتظم يساعد على منع أو تأخير الأمراض ويحد من صعوبات الأعمال اليومية.

وأظهرت عدة دراسات أن تدريبات القوة تسهم في زيادة كتلة العضلات لدى المتدربين من فئة كبار السن وهذا يعني أنه إذا كان الشاب يستطيع في غضون عدة أشهر أن يحسن قوة وكتلة العضلات لديه بنسبة كبيرة فإن المتدرب المسن يلاحظ تحسناً بنسب متشابهة.

وبينت الكثير من الأبحاث أن هناك علاقة بين النشاط البدني والمتغيرات النفسية لدى كبار السن.

ويؤدي النشاط البدني إلى زيادة تدفق الدم في الجسم، وبالتالي يزيد النبض وينشط الهرمونات التي تعمل على تحسين المزاج. كما أن تمارين المقاومة تؤثر على عمل الأنسولين وتساعد في زيادة كثافة العظام وتزيد معدل الأيض.

ومع التقدم في السن يصبح من الأهمية بمكان أن يصير الشخص نشيطاً إذا كان يرغب في البقاء بصحة جيدة.

ومن المهم لدى المسن وقبل ممارسة الرياضة التوجه إلى الطبيب المختص لإجراء كشف طبي على قدراته الجسدية، وينصح خبراء اللياقة البدنية بأن تكون الرياضة لدى كبار السن موصوفة بوصفة طبية حتى لا تتسبب في حدوث تمزقات في الأربطة وآلام في المفاصل.

ويعود النشاط البدني لكبار السن بفوائد جمة على صحتهم الجسدية، كما يزودهم بالطاقة، ويخفف من شعورهم بالألم، ويزيد من استقلاليتهم مما يمكنهم من تلبية احتياجاتهم الشخصية، بالإضافة إلى الحفاظ على صحتهم العقلية.

وتمد التمارين الهوائية الجسم بالطاقة، وتزيد من قدرته على التحمل، وذلك عن طريق تقوية عضلة القلب وبالتالي زيادة قدرتها على أداء وظيفتها في ضخ الدم. فعضلة القلب مثل باقي عضلات الجسم تضعف نتيجة لتقدم السن ونمط الحياة الخامل. كما تعمل هذه التمارين على تنشيط الدورة الدموية في الجسم، والتقليل من خطر الإصابة ببعض الأمراض مثل السرطان والسكري والاكتئاب.

ويعد المشي أحد أفضل التمارين الهوائية لكبار السن، ومن فوائد المشي لكبار السن أنه يعمل على الحفاظ على كثافة العظام، فالمشي المنتظم لنصف ساعة في اليوم على الأقل يساعد في الوقاية من الإصابة بهشاشة العظام والكثير من أمراض الشيخوخة، بالإضافة إلى تحسين اللياقة البدنية. ويمكن البدء بالمشي لمدة عشر دقائق يومياً، ثم زيادة السرعة تدريجياً على ألا تتجاوز 40 في المئة من الحد الأقصى لمعدل ضربات القلب خاصةً عند كبار السن الذين يعانون من مشاكل صحية أو من نمط الحياة الخامل، حيث يتم حساب معدل ضربات القلب القصوى عن طريق طرح العمر من 220.

أما الجري فيعتبر من التمارين القوية مقارنة بالمشي، ولكن من الممكن أن يكون له تأثير على المفاصل والعضلات. ولذلك ينصح بتجنب ممارسة الجري لكبار السن في بعض الحالات.

وينصح خبراء اللياقة البدنية كبار السن بالاستيقاظ باكرا بما يسمح بإنهاء الإفطار قبل التمرين بساعة على الأقل إذا كانوا يمارسون الرياضة في الصباح؛ ذلك أنه بحلول الصباح يكون قد تم استنفاد معظم الطاقة التي حصلوا عليها من وجبة العشاء الليلة السابقة، وقد يكون مستوى السكر في الدم لديهم منخفضا. وإذا لم يتناولوا الطعام فقد يشعرون بالخمول أو الدوار عند ممارسة الرياضة.

الجلوس لمدة طويلة يهدد بجلطة الساق

دوسلدورف (ألمانيا) – حذر البروفيسور يورجن رينجفالد من أن الجلوس لمدة طويلة أثناء رحلات الطيران الطويلة مثلا، يرفع خطر الإصابة بجلطة الساق، حيث يتسبب توقف حركة عضلات باطن الساق في حدوث خلل بسريان الدم، ومن ثم يتخثر الدم، وفي أسوأ الحالات قد يتحرك الدم المتخثر ويصل إلى الرئة مسببا جلطة رئوية تهدد الحياة.

وأوضح اختصاصي طب السفر الألماني أن العوامل التي ترفع خطر الإصابة بجلطة الساق، تتمثل في التقدم في العمر والحمل والسمنة والتدخين ودوالي الساقين وقصور القلب وأمراض السرطان والخضوع لجراحة مؤخرا.

وللحد من خطر الإصابة بجلطة الساق، ينبغي تحريك الساقين والنهوض من حين إلى آخر وشرب السوائل على نحو كاف، بمعدل ربع لتر كل ساعتين من أجل تحسين خصائص سريان الدم، مع مراعاة الإقلال من المشروبات المدرة للبول مثل القهوة.

ومن المهم أيضا تجنب ارتداء ملابس ضيقة، كما لا يجوز وضع الساقين فوق بعضهما البعض لمدة طويلة.

وبالإضافة إلى ذلك، يتعين على الأشخاص الأكثر عرضة للإصابة بجلطة الساق، ارتداء جوارب ضاغطة.

وتعتبر الجلطات، وتحديدا التي تصيب الرجل أو الساق، من أكثر المشاكل الصحية شيوعا، وهي حالة تتكون فيها الجلطات في الأوردة العميقة للساق نتيجة تخثر الدم في أحد تلك الأوردة، مما يؤدي إلى انسدادها وعدم مرور الدم من خلالها.

وبشكل عام تحدث جلطة الساق نتيجة بطء تدفق الدم داخل الأوردة أو ركود الدم فيها، بسبب عدم التحرك لفترة طويلة، مثل الجلوس لفترة طويلة في الطائرة أو السيارة أو الرقود في الفراش.

ويعد ألم القدم أحد الأعراض الممكنة لتجلط الدم في الساق. فعندما يكون هناك انسداد في تدفق الدم أو تباطؤ، لا يمكن للأنسجة الحصول على ما يكفي من الأكسجين من الدم الواصل، ونتيجة لذلك يشعر المصاب بالألم والتنميل.

يسبب التجلط في منطقة الفخذ أو الساق احمرارا في الجلد مع ارتفاع بسيط في درجة حرارته، مما يجعل من السهل الخلط بين تجلط الدم في الساق مع العدوى أو الإصابة.

ويسبب وجود جلطة دموية في الساق الالتهاب الذي يؤدي إلى ارتفاع درجة الحرارة. كما يسبب تلون الجلد، وقد تبدو منطقة الكاحل والقدم شاحبة بسبب انخفاض تدفق الدم فيها، حيث يسبب انخفاض تدفق الدم تغيرا في لون الجلد في المنطقة المصابة ويجعل ملمسها باردا.

ويبدأ الألم عادة في ربلة الساق وهي العضلة الخلفية للساق. كما يمكن الشعور بتشنجات أو تقرحات خاصة عند المشي.

ويمكن أن يكون التورم أحد أعراض الجلطة الدموية في الساق، وقد يحدث التورم في إحدى أو كلتا الساقين، ويكون مؤلما جدا عند ملامسته.

يصف الطبيب بعض الأدوية المناسبة، كما يوصي أيضا برفع الساق المصابة وارتداء جوارب ضاغطة للمساعدة في تقليل أعراض الجلطة في الساق مثل التورم والألم.

وينصح برفع الساق عند الاستلقاء على الأقل من 3 إلى 4 مرات يوميا، لمدة 15 دقيقة في المرة الواحدة للمساعدة في تخفيف الضغط في الأوردة.

وللوقاية من جلطة الساق تنبغي ممارسة التمارين الرياضية باستمرار، فهي تساعد على تنشيط الدورة الدموية، ومن الأفضل ممارسة المشي لمدة نصف ساعة يوميا أو أكثر، على الأقل خمس مرات في الأسبوع. وعدم الجلوس لفترات طويلة، وينصح بعدم الجلوس بشكل متواصل وإنما التحرك بين الحين والآخر.

ويؤكد الأطباء أن جلطة الساق تصبح ضارة ومؤلمة عند حدوثها في الأوردة العميقة في الجسم، مما قد يستدعي الانتباه إليها دون تهاون أو استهتار، وذلك لمنع وصولها إلى القلب ومن ثم إلى الرئتين.

وهناك بعض الأسباب التي تؤدي إلى الإصابة بجلطة الساق، ويجب التدخل في الوقت المناسب لعلاجها منعًا لحدوث مضاعفات للمريض.

وقال الدكتور شريف حسين استشاري أمراض القلب والأوعية الدموية للقسطرة التداخلية وزميل الجمعية القلبية للقسطرة التداخلية، إن المقصود بجلطة الساق تجمع كتلة من الدم في الأوردة العميقة من الساق، مضيفًا أنها من الممكن أن تصيب أي أوردة في الجسم مثل القدمين أو الذراعين.

وأكد حسين أن جلطة الساق تحدث نتيجة للعديد من العوامل، وأشارة إلى أن الجلوس لفترات طويلة قد يؤدي إلى خلل في نشاط الدورة الدموية بالجسم.

وأوضح أن الحمل قد يتسبب في حدوث الجلطة عند السيدات (حدوث اضطرابات بالهرمونات بشكل قد تؤدي إلى لزوجة الدم) خاصًة عند الجلوس لفترات طويلة وعدم الحركة.

العوامل التي ترفع خطر الإصابة بجلطة الساق تتمثل في التقدم في العمر والحمل والسمنة والتدخين ودوالي الساقين

وأضاف أن التدخين يعتبر أحد الأسباب المهمة في حدوث جلطة الساق، خاصًة في ظل استمراره لفترة طويلة، مما يؤثر على تلف بطانة الأوعية الدموية، ما يزيد احتمالية حدوث الجلطات.

وأوضح حسين أن هناك مجموعة من الأعراض التي تشير إلى وجود جلطة الساق، وهي ألم حاد في الساق ومن الممكن أن تصاحبه علامات تدل عليه منها الانتفاخ وتغير لون الجلد إلى الأزرق بسبب منع تدفق الدم في الأوردة، وبروز أوردة في الساق منتفخة، وتورم القدم مع دفء شديد في القدمين وألم شديد في الصدر ونقص في الأكسجين.

وأكد حسين أن مضاعفات جلطة الساق خطيرة للغاية، مضيفًا أنها قد تتسبب في الجلطة الرئوية الحادة، وذلك بسبب وصولها إلى القلب ومن ثم إلى الرئة مسببة تدهور الحالة المرضية بشكل قد يؤدي إلى الوفاة.

وقدم استشاري القلب والأوعية الدموية مجموعة من النصائح والإرشادات للوقاية من الإصابة بجلطة الساق منها تناول كمية كافية من المياة الباردة باستمرار، والحركة المستمرة، وعدم الجلوس لفترات طويلة وعدم التدخين، والتوجه إلى الطبيب المتخصص عند الشعور بوجود ألم في القدمين لإجراء الإشعاعات والفحوصات الطبية في وقت مبكر، إضافة إلى تجنب زيادة الوزن وتناول أطعمة وأكلات صحية.

ينصح بعدم الجلوس بشكل متواصل

حمية البحر المتوسط تزيد من كثافة العظام

النظام الغذائي للبحر المتوسط يشمل المنتجات الطازجة

واشنطن – تشير الدراسات العلمية والأبحاث الصحية الجديدة إلى أن الالتزام بنظام البحر المتوسط الغذائي له تأثير إيجابي على كثافة العظام في الجسم.

وفي دراسة نشرت في المجلة الأوروبية للتغذية السريرية نظر الباحثون في معلومات لأكثر من 13000 شخص، وفحصوا كيفية التزامهم بنظام البحر المتوسط الغذائي مقارنة بكثافة عظامهم.

ووجد الباحثون صلة صغيرة ولكنها مهمة بين الالتزام بالنظام الغذائي وزيادة الكثافة في أجزاء من العمود الفقري والرقبة والورك والجسم بشكل عام.

وكشفت هذه الدراسة عن زيادات متواضعة، من المحتمل ألا تكون كافية للوقاية من هشاشة العظام أو عكسها لدى أولئك الذين لديهم ميول وراثي، ولكن اتباع نظام غذائي صحي مثل حمية البحر المتوسط، سيوفر تأثيرات جهازية إيجابية، مثل انخفاض الالتهاب، مما يساهم في تحسين وظيفة آلية العظام.

ويرتبط نظام البحر المتوسط الغذائي، الذي يتضمن تناول المزيد من الأسماك والحبوب الكاملة والدهون الصحية والمكسرات والبذور والفواكه والخضراوات، بمجموعة من النتائج الصحية الإيجابية الأخرى للجسم والعقل، حيث اقترحت الدراسات أن النظام الغذائي هذا يمكن أن يساعد في الحماية من التدهور المعرفي، وفي تحسين جودة النوم، ويزود نظام المناعة بالفائدة.

العرب
الأحد 2022/03/06
السنة 44 العدد 12348

وصمة المجتمع تهدد الشباب المتعافين من الإدمان بالانتكاسة في مصر

التشكيك في سلوك المتعافين يدفعهم إلى الإحباط رغم إغراءات القروض والبدايات الجديدة

تصطدم مساعي الحكومة المصرية للقضاء على الإدمان بين الفئات الشبابية بوصمة المجتمع للمدمنين المتعافين منهم، على الرغم من أن صندوق مكافحة التعاطي يقوم بتدريبهم على كيفية التعامل بشكل صحيح مع الأسرة والمجتمع بعد انتهاء فترة العلاج، لكن تظل السلوكيات السلبية من البيئة المحيطة عاملا أساسيا لعودتهم إلى التعاطي.

المجتمع قد يتقبل التعامل مع مجرم سابق ولا يمنح نفس الحق لشاب مقلع عن الإدمان

أحمد حافظ
كاتب مصري

القاهرة - تقدم وزارة التضامن الاجتماعي في مصر لكل متعاف انتهى من فترة علاجه من الإدمان قرضا يصل إلى مئة ألف جنيه لبدء حياة جديدة وإغراء باقي الشباب بالإقلاع عن التعاطي، لكن هناك تحديات كثيرة تواجه هذا المسار على رأسها الوصمة المستمرة تجاه هؤلاء ورفض الاحتكاك بهم أو التخوف منهم حتى في المعاملات الحياتية بدعوى ماضيهم السيء.

لا يزال محمود محمد، وهو شاب مصري تعافى أخيرا من الإدمان بعد سنوات من تعاطي أغلب أنواع المخدرات، عاجزا عن تكوين أسرة، مع قدراته المالية التي تؤهله لذلك، فكلما تقدم لفتاة للزواج منها يأتي الرد بالرفض وعندما يستفسر من الوسطاء عن السبب، يعرف أن مسيرته مع الإدمان في الماضي كانت الدافع الأول لعدم قبوله زوجا، حتى لو تاب ورجع إلى طبيعته.

معاناة مستمرة

يعيش محمود الآن منعزلا تقريبا عن البيئة المحيطة، وأصبح مضطرا إلى تكوين صداقات جديدة بعيدا عن أصحاب السوء الذين اقترب منهم في الماضي وكانوا سببا في تعاطيه المخدرات، حيث أقنعوه بها حتى اضطر إلى خوض التجربة من باب حب الاستطلاع، وانقلبت حياته بعد أن صار مدمنها لها ولا يريد التعامل معهم، لكنه أيضا بات عاجزا عن بناء علاقات مع أصدقاء جدد.

> دراسات تؤكد أن أهم أسباب انتكاسة الشباب المتعافين من الإدمان شعورهم بأن العوامل التي أدت إلى الإدمان لم تتغير

ويقول الشاب لـ"العرب" إن القروض الحكومية وحدها غير كافية لعودة المدمن التائب عن هجرة طريق الإدمان، فأغلب المتعاطين للمخدرات ذهبوا إلى هذا المسار لظروف نفسية واجتماعية وأسرية، وبعد أن يتم علاجهم طبيا ونفسيا هم بحاجة إلى أن يشعروا بأن الظروف التي قادتهم إلى الإدمان تغيرت، فقد تتسبب لهم العزلة في العودة إلى التعاطي مجددا.

الانتكاسة

تم علاج محمود من خلال مركز صندوق مكافحة الإدمان التابع للحكومة، ويرى أن الدولة توفر كل شيء للمتعاطي ليعود شخصا سويا دون أن يتحمل التزامات مادية، وكل شيء بالمجان، أيّ أن الحكومة تفعل ما عليها والمشكلة في المجتمع، فماذا تفيد الوظيفة والمشروعات الناجحة والقروض الضخمة مع أسرة وأفراد وبيئة لا تقبل المدمن الذي أقلع عن الادمان.

وتعكس حالة محمود مستوى المعاناة التي يواجهها الشباب في أيّ مجتمع شرقي يدين بالولاء للعادات والتقاليد والأعراف، ويتعامل مع كل من يتجاوز هذه المقدسات باعتباره مجرما ولا يجوز التسامح معه أو احتضانه مرة أخرى، وهذا يرتبط بانخفاض منسوب الوعي وضيق الأفق وتراجع مساحة الانفتاح الفكري والثقافي عند شريحة من الناس.

هناك ما يعرف بمرحلة الانتكاسة عند الشاب الذي أتم تعافيه من الإدمان، ترتبط غالبا بمسببات نفسية ومجتمعية جراء الفراغ الذي يعاني منه المدمن بعد التعافي، حيث لا يستطيع الاندماج بسهولة في المجتمع ويفشل في إقامة علاقات طيبة مع الأفراد وداخل عائلته، وقد يكون عاجزا عن العودة إلى ممارسة الأنشطة المفيدة، فيلجأ إلى الإدمان ثانية.

يهرب الكثير من الشباب إلى الإدمان لمحاولة تغييب وعيهم عن كل ما يحيط بهم من سلبيات وتصرفات مشينة وظروف صعبة، سواء أكانت اقتصادية أو سياسية أو أسرية أو مادية، لكن تظل سرعة دمجهم في المجتمع بعد العلاج أحد أهم الأسباب التي تحول بينهم وبين العودة إلى التعاطي، فيشعرون بالعزلة واستمرار الوصمة ويفكرون في العودة.

وقال علي عبدالراضي، استشاري الصحة النفسية وتقويم السلوك بالقاهرة، إن نسبة كبيرة من الشباب المتعافين لا يجدون الفرصة المناسبة لإثبات الذات والاندماج بالمجتمع لاستمرار مطاردتهم بلقب المدمنين، وأصعب مرحلة تهدد السلامة النفسية لمن تم علاجهم من التعاطي هي العودة إلى البيئة المحيطة، فإذا كانت إيجابية فهذا يحفزهم، أما النظرة السلبية فهي مدمرة للمعنويات.

وأضاف لـ"العرب" أن شعور الشباب المتعافين بأنهم مشكوك في سلوكياتهم حتى بعد العلاج وتضييق الخناق عليهم ورصد تحركاتهم وتجنب الاقتراب من الأسرة أو زملاء العمل أو غيرهم، يصيبهم بالإحباط، وقد يندم البعض على التعافي، وهناك من تتسرب إليه فكرة اليأس والإحساس بالعجز ليعيد التفكير في التعاطي للتخلص من هذه الأفكار.

ومشكلة الشاب الذي تعافى أنه في غالب الأحيان يكون عاجزا عن إيجاد وظيفة مناسبة، خاصة أو حكومية، لسابقة مرتبطة بكونه مدمنا باعتبار أن سيرته الذاتية ليست نزيهة بالقدر الذي يجعله يتحمل مسؤولية التعامل مع الناس في بيئة العمل، وهذا في حد ذاته مدمر للنفسية، ويتبع ذلك عدم استطاعته بناء أسرة سوية، إضافة إلى ندرة موارده المالية، فيتملكه اليأس.

ووفق دراسات وأبحاث عديدة مرتبطة بالشباب المتعافين من الإدمان، فإن أهم أسباب الانتكاسة شعورهم بأن العوامل التي أدت إلى الإدمان لم تتغير، فحين يشعر الشاب بعدم قدرته على التكيف قد يلجأ إلى التعاطي مرة ثانية حتى يقل الألم الناتج عن عدم القدرة على التكيف مع البيئة أو يشعر بالأمان تجاه المحيطين به.

صحيح أن ثمة متغيرات إيجابية وصار الناس أفضل من ذي قبل في الإيمان بضرور تعافي المدمنين، لكن فكرة التخوف من الشباب المتعافين من الإدمان لا تزال مسيطرة على بعض الأفراد، وهو ما يتطلب جهودا كبيرة من الحكومة لتغيير هذه القناعات، فلا توجد خطط أو برامج توعوية تسهل مهمة إدماج المتعافي أو خطاب إعلامي محدد يتطرق إلى هذه المشكلة.

تفتقد المناهج التعليمية المختلفة التطرق إلى إشكاليات ما بعد التعافي من الإدمان وبناء مجتمع واع لديه قدر من الانفتاح والقوامة النفسية في التعامل مع المخطئين، مهما كانت سلوكياتهم في الماضي، طالما أنهم عادوا إلى الحياة، وبالتالي لهم الحق في التعامل معهم بإنسانية قبل أن يعودوا من جديد إلى عالم الإدمان.

تزداد الحاجة الملحة إلى مناهج تعليمية توعوية بارتفاع منسوب تعاطي الإدمان بين الشباب في الحقل الجامعي، كنوع من تفريغ الطاقات السلبية أو إثبات الذات أو الهروب من الأزمات الأسرية وملء الفراغ الذي تعيشه هذه الفئة في ظل التهميش العام.

ويعتقد متابعون أن التشدد الحكومي في التعامل مع المدمنين في الجهاز الإداري للدولة وفصلهم من الوظائف فور اكتشاف تعاطيهم، ضاعف من الشكوك والنظرة السلبية من المجتمع لكل من يُتهم بالإدمان، وإذا كان هذا مطلوبا لتطهير المؤسسات الرسمية من المتعاطين، لكن عدم التدرج في العقوبة وتجاهل استخدام النصح أولا في العلاج نتجت عنهما تبعات قاتمة.

ولأن الحكومة المصرية لا تتقبل فكرة عودة الموظف التائب إلى عمله من جديد، فهذا ترك انطباعات سلبية عن المتعافين بشكل عام، والمفترض أن المدمن طالما تمسك بأن يكون إنسانا طبيعيا، فالمطلوب مساندته طوال حياته، لا معاقبته بقسوة لمجرد أنه ارتكب خطيئة ندم عليها، فالشاب عندما يفصل من وظيفة لأنه مدمن، وحتى لو عولج، سوف تظل هذه الوصمة تطارده إلى الأبد.

تزداد الأزمة النفسية عند الشباب الذين كانوا مدمنين سابقين وتحولوا إلى معالجين في مجال تأمين المتعاطين، ويواجه بعضهم نبذا مجتمعيا بسبب الماضي الخاص بهم، فرغم كونهم يقدّمون خدمة لمجتمعاتهم، لكنهم يجدون صعوبة في التأقلم وإزالة الوصمة التي طالتهم، ويتعاملون كمواطنين من الدرجة الثانية، إلا ما ندر منهم.

تتعامل بعض الأسر مع الابن التائب عن الإدمان باعتباره تسبب لهم في وصمة ويظل في نظرهم الشاب العاق غير السوي، ولو عاد إلى طبيعته وقرر أن يتحمل المسؤولية ويبني نفسه من جديد بإقامة مشروع أو الالتحاق بأي وظيفة، إذ يكون بالنسبة لعائلته مشكوكا في سلوكياته دائما ولا يجب منحه الأمان الكامل، بما يجعله يائسا ومنكسرا.

> مشكلة الشباب أنهم في غالب الأحيان يكونون عاجزين عن إيجاد وظيفة مناسبة، خاصة أو حكومية

المتعافي والمجرم الحقيقي

المشكلة أن المجتمع قد يتقبل التعامل مع مجرم سابق لأنه قضى فترة العقوبة في السجن، ولا يمنح نفس الحق لشاب تائب عن الإدمان، بسبب الفوبيا من فكرة تعاطي المخدرات عموما، وطوال الوقت يفكر البعض في المدمن التائب على أنه مشروع مجرم يمشي على الأرض، ولو تراجع عن هذا الطريق، لكنه قد يعود إليه في أيّ لحظة، ومن الصعب الوثوق فيه.

لا يدرك هؤلاء أنهم كانوا أحد الأسباب الرئيسية في إدمانه أول مرة، وعدم القدرة على استيعابه بالشكل الأمثل بطريقة إنسانية، فقرر الهروب منهم بتغييب وعيه من خلال المخدرات، وإذا لم يجد منهم ما يتمناه بعد العلاج واستمرت النظرة إليه كشاب فاقد للأهلية أو جرثومة تنخر في المجتمع، لن يجد ملاذا آمنا سوى العودة إلى الإدمان.

وتعتقد سامية خضر، أستاذة علم الاجتماع بجامعة عين شمس بالقاهرة، أن توفير الأمان النفسي للشباب المتعافين من الإدمان ينطلق من البيئة المحيطة والإعلام والدراما التوعوية، لا التي تكرس العداء ضد المتعافين من الإدمان، وهنا المجتمع يجب أن يكون قدوة لهم في تقبلهم بعد العلاج، لأن استمرار نبذهم يجعلهم يستسلمون للإحباط، وأكثر عرضة للعودة إلى التعاطي لتهدئة روعهم وخوفهم من المستقبل المجهول.

علي عبدالراضي
نسبة كبيرة من المتعافين لا يجدون الفرصة لإثبات الذات

سامية خضر
توفير الأمان النفسي للمتعافين ينطلق من البيئة المحيطة

وأكدت لـ"العرب" أن حالة الفراغ التي يمر بها معظم الشباب يجب ملؤها عبر الأسرة والمجتمع والأصدقاء وبيئة العمل، لأن العزلة تقود إلى سلوكيات مشينة مثل الإدمان، والشاب الذي تعافى من التعاطي يظل مترقبا طريقة استقباله من البيئة المحيطة، ويفكر كثيرا في كيفية التعامل معهم وقد يواجه صدمة عدم قبوله فيُحبط وينكسر.

ويلجأ بعض الشباب إلى تفريغ الطاقات المكبوتة بداخلهم عبر طرق عديدة بينها المخدرات، لأنهم وجدوا أمامهم الأبواب المغلقة للتعبير عن أنفسهم وإثبات ذواتهم بمسارات مقبولة، وهناك شباب من المتعافين يحاولون بشتى الطرق إثبات قدرتهم على أنهم ناجحون، فيصطدمون بردة فعل سلبية.

ومن شأن استمرار الوصمة المجتمعية تجاه الشباب المتعافين من الإدمان أن ينعكس على تهديد الأمن الداخلي للدولة، لأنها ستفقد جزءا من أهم الشرائح الفاعلة، لديها قدرة على العطاء والجهد والبناء والتنمية والإنتاج، طالما استمر التعامل مع المدمن على حاله.

مهما كانت جهود الحكومة كبيرة لإعادة تقويم سلوكيات الشباب الذين وقعوا فريسة للإدمان، بمنحهم القروض والمساعدات دون برامج لآليات دمجهم وإقناع الشارع بمختلف فئاته وطبقاته وانتماءاته الفكرية والثقافية بحتمية قبولهم كشركاء ومواطنين طبيعيين، فنتيجة البرامج العلاجية لن تكون مجدية تماما، طالما أن الهدف المطلوب لم يتحقق، فتبقى الطاقات الشبابية معطلة وغير قادرة على تحمل المسؤولية.

الحاجة ملحة إلى مناهج تعليمية توعوية

اليأس فكرة

العرب
الأحد 2022/03/06
السنة 44 العدد 12348

عقود الملكية للأندية الإنجليزية تثبت عدم فائدتها في الأزمات

تشيلسي من نادٍ يتربّع على عرش أوروبا إلى «بضاعة» في المزاد

تقدم الأزمة التي يمرّ بها فريق تشيلسي المعروض للبيع بعد فترة مميزة عرفها النادي الإنجليزي العريق مع مالكه الروسي رومان أبراموفيتش درسا يستوجب قراءة فصوله بتمعّن في ظل الاستثمار الذي عرفه قطاع الرياضة عموما وكرة القدم بصفة خاصة والترحيب المتواصل بعمليات الاستحواذ على الأندية وشراء ملكيتها وخصوصا في الدوري الإنجليزي الممتاز.

لندن – **عُرفت كرة القدم على مسار تاريخ طويل بكونها متنفس الشعوب من الأزمات، لكن يبدو أن اللعبة الشعبية ومعبودة الجماهير عالميا باتت هي من تصنع الأزمات. وربما تجد هذه المقاربة شيئا من يقينها في ما كشفت عنه الأزمة الأخيرة التي يمر بها فريق تشيلسي الإنجليزي.**

هذا النادي العملاق الذي تأثر كثيرا بالأزمة الروسية – الأوكرانية ليتحوّل فجأة من نادٍ ينافس على الألقاب ويتسيّد كرة القدم الإنجليزية والأوروبية إلى "بضاعة" موضوعة في المزاد.

ربما تلك هي حكمة كرة القدم في مظهرها الحديث مع عقود الملكية والرعاية، والاستثمار الأجنبي الذي يبدو أنه سرعان ما يفقد فائدته في الأزمات، حيث طالت الأزمة اللعبة الشعبية ومست المكانة الجماهيرية الواسعة التي تحظى بها في قلوب الملايين من محبي هذا النادي أو ذاك.

المثال يجسده بوضوح نادي تشيلسي الذي يسير نحو نفق مظلم بعدما أعلن الروسي رومان أبراموفيتش عن وضع النادي الذي استحوذ على ملكيته على مدار 19 عاما للبيع.

واشترى رجل الأعمال الروسي ملكية نادي تشيلسي عام 2003 مقابل 140 مليون جنيه إسترليني، فحوّله منذ ذلك الحين إلى أحد أقوى الأندية عالميا.

نجاحات لافتة

بالرغم من الأثر السيء الذي يمكن أن يتركه بيع النادي وتحوله إلى ملاك جدد سواء أكانوا من بريطانيا أم خارجها، إلا أن ذلك لا يحجب حجم التطوير الذي عرفه هذا النادي والنتائج اللافتة التي حققها في السنوات الأخيرة.

وشهدت حقبة أبراموفيتش نجاحات مذهلة لتشيلسي، حيث نجح البلوز في التتويج بواحد وعشرين لقبا تراوحت في مجملها بين المحلي والقاري، لكنها تبقى شاهدة على فترة الرخاء التي مر بها هذا النادي العريق.

ويعد مانشستر يونايتد ثاني أكثر الأندية الإنجليزية تتويجا بالبطولات منذ تولي أبراموفيتش بـ16 لقبا (باستبعاد الدرع الخيرية).

وبحسب تقرير لصحيفة "ذا صن" البريطانية فقد توج مانشستر سيتي النادي الأقوى إنجليزيا في الفترة نفسها بـ13 لقبا مقابل 9 ألقاب لليفربول و6 لأرسنال.

وحصد تشيلسي مع أبراموفيتش لقب الدوري الإنجليزي خمس مرات ومثلها في كأس الاتحاد الإنجليزي وثلاثة ألقاب لكأس رابطة المحترفين.

كما توج الفريق الملقب بـ"البلوز" في عهد مالكه الروسي بدوري أبطال أوروبا مرتين ومثلهما في الدوري الأوروبي والدرع الخيرية، بينما نال كأس السوبر الأوروبي وكأس العالم للأندية مرة واحدة.

وأنفق النادي الإنجليزي الذي يعتبر من صفوة الكبار في عهد أبراموفيتش أكثر من ملياري جنيه إسترليني على الصفقات.

ويعد روميلو لوكاكو اللاعب الأغلى الذي ضمه البلوز الصيف الماضي مقابل 97.5 مليون جنيه إسترليني، ويأتي في المركز الثاني كاي هافيرتز (89 مليون جنيه إسترليني) ثم الحارس كيبا (72 مليون جنيه إسترليني).

كما ضم تشيلسي العديد من الصفقات الأخرى عالية الثمن على غرار ألفارو موراتا (70 مليون جنيه إسترليني) وكريستيان بوليسيتش (58 مليون جنيه إسترليني) وجورجينو (57 مليون جنيه إسترليني) وفيرناندو توريس (50 مليون جنيه إسترليني) وتيمو فيرنر (47.5 مليون جنيه إسترليني) وبن تشيلويل (45 مليون جنيه إسترليني) وأخيرا ماتيو كوفاسياش (40 مليون جنيه إسترليني)، وهم أغلى عشرة لاعبين ضمهم تشيلسي في حقبة أبراموفيتش.

وأشرف على تدريب تشيلسي 13 مدربا في عهد أبراموفيتش بينهم الثنائي جوزيه مورينيو وجوس هيدينك اللذين قادا الفريق في ولايتين لكل منهما.

وخاض تشيلسي 1087 مباراة في عهد أبراموفيتش، انتصر في 660 مباراة، وتعادل في 237 وخسر في 190، بمعدل عشر هزائم في العام الواحد في جميع المسابقات.

وسجل تشيلسي في تلك المباريات 2049 هدفا واستقبلت شباكه 957 هدفا، وبلغت نسبة انتصارات البلوز 60.7 في المئة.

هذه الأرقام وإن كانت شاهدة على حجم التحول الإيجابي الذي عرفه البلوز في السنوات الأخيرة وانتهى به إلى فرض كلمته على الأندية الأوروبية، إلا أنها لا تنفي الأثر الرجعي لأزمة الملكية لبعض الأندية وخصوصا تلك التي على ملك مستثمرين أجانب.

تحولات عميقة منتظرة

كشف تقرير صحافي بريطاني موقف بروس باك رئيس تشيلسي ومارينا غرانوفسكايا مسؤولة الانتقالات في النادي من الرحيل عن البلوز بعد قرار المالك رومان أبراموفيتش.

وأعلن أبراموفيتش أنه سيعرض تشيلسي للبيع بعد أيام قليلة من تأكيد تسليم رعاية شؤون النادي إلى لجنة تشيلسي الخيرية.

وكانت تقارير صحافية قد أكدت في وقت سابق أن الملياردير البريطاني جيم راتكليف مهتم بشراء تشيلسي مع مستثمرين آخرين.

ووفقا لصحيفة "الغارديان" ستترك مارينا تشيلسي بمجرد أن تنتقل ملكية النادي إلى طرف جديد كما سيتخذ بروس باك الموقف ذاته.

وكان باك الدعامة الأساسية لعهد أبراموفيتش في غرب لندن حيث تم تعيينه رئيسا للنادي في مارس العام 2004.

وباك واحد من ستة أمناء تم اختيارهم للإشراف على تسيير النادي عندما سلم رومان أبراموفيتش مقاليد الرعاية السبت الماضي.

وتلقى المحامي الأميركي تعليمه في جامعة كولجيت وكلية الحقوق بجامعة كولومبيا وحقق تشيلسي معه خمسة ألقاب في الدوري الإنجليزي الممتاز. وعلاوة على خمسة ألقاب في كأس الاتحاد الإنجليزي، كما حقق البلوز المجد معه في دوري أبطال أوروبا خلال عامي 2012 و2021.

كما أسس باك صندوق اللاعبين السابقين لمساعدة نجوم النادي السابقين والموظفين الذين يحتاجون إلى مساعدة طبية أو مالية.

أما جرانوفسكايا التي تم الترحيب بها باعتبارها أقوى امرأة في كرة القدم، فهي ممثلة أبراموفيتش في النادي منذ 2010 قبل أن تنضم إلى مجلس الإدارة في 2013.

وفي ديسمبر الماضي تم اختيار جرانوفسكايا كأفضل مدير لناد في كرة القدم الأوروبية خلال حفل توزيع جوائز "غولد بوي".

> **شهدت حقبة أبراموفيتش نجاحات مذهلة لتشيلسي، حيث نجح البلوز في التتويج بواحد وعشرين لقبا تراوحت في مجملها بين المحلي والقاري، لكنها تبقى شاهدة على فترة الرخاء التي مر بها هذا النادي العريق**

أزمة ظرفية

وربما تكون أزمة تشيلسي ظرفية وقد تتحول إلى مزمنة، لكنها كشفت في جانب كبير منها عن هشاشة قد تكون قانونية أو ترتيبية أو ما إلى ذلك من الأساسيات التي يمكن أن تضبط وضعية أندية كرة القدم في الأزمات.

لكن الأكيد أن هذا الجانب لا يخفى على المهتمين وأصحاب القرار في الاتحاد الإنجليزي لكرة القدم الذين يبالغون في إظهار عدم مساندتهم لبعض رؤوس الأموال العربية عندما يتعلق الأمر بالاستحواذ على بعض الأندية، لكنهم ينكرونه على رؤوس الأموال الأوروبية الأخرى.

رحّب رئيس رابطة الدوري الإنجليزي الممتاز ريتشارد ماسترز بقرار أبراموفيتش بيع النادي، فيما شكرت الجماهير الملياردير للنجاح "غير المسبوق" في عهده.

ولا يَرد اسم أبراموفيتش على قائمة العقوبات البريطانية المتزايدة التي تستهدف المصارف والشركات الروسية وكبار رجال الأعمال الموالين للكرملين.

وقال ماسترز خلال قمة "فاينانشيل تايمز بيزنيس" لكرة القدم في لندن بحضور أبرز المسؤولين الكرويين في أوروبا "لقد تصاعد الوضع بسرعة كبيرة خلال الأيام السبعة الماضية وقد توصّل (أبراموفيتش) إلى النتيجة الصحيحة"، مضيفا "بات الوضع لا يُحتمل. إنه قرار مرحّب به، من أجل خير الجميع، بما في ذلك الجماهير".

وقبل ساعات من الإعلان عن البيع رسميا كشف هانزيورغ فايس، أحد أغنى رجال سويسرا، الأربعاء أنه عُرض عليه وثلاثة أشخاص آخرين فرصة شراء أبطال أوروبا.

وقال ماسترز في هذا الصدد "أسرع بيع سجلناه حتى الآن هو عشرة أيام. لا أقول إنه من المستحيل كسر هذه الفترة الزمنية، ولكن من حيث المبدأ، يستغرق البيع عدة أسابيع.. كل هذا يتوقف على مدى تعقيد الصفقة وعدد المالكين المحتملين. إذا كانت المعلومات سهلة الفهم وتوفر لنا جميع الإجابات الصحيحة، يمكن القيام بذلك بسرعة نسبيًا".

ومنذ بدء الغزو الروسي لأوكرانيا في الرابع والعشرين من فبراير الماضي قطعت الشركات الغربية العلاقات مع روسيا وقال ماسترز إن الدوري الإنجليزي الممتاز يدرس تعليق أو إنهاء صفقته مع القنوات الروسية.

وفي وقت سابق قال النائب المعارض في حزب العمال كريس برايانت "إنه لغز بالنسبة إليّ لماذا لم تتم معاقبة رومان أبراموفيتش حتى الآن".

من جهة أخرى، أعرب أنصار تشيلسي عن امتنانهم لأبراموفيتش الذي جعل ناديهم أحد أقوى الفرق وأكثرها تنافسية في إنجلترا وأوروبا منذ وصوله في عام 2003.

وجاء في بيان لرابطة المشجعين "تشيلسي سابورترز تراست"، "تود الرابطة أن تعرب عن امتنانها للسيد أبراموفيتش على عاطفته وشغفه وتفانيه في نادي تشيلسي. بفضل دعمه، حققنا نجاحا غير مسبوق خلال عهده. مشجعو تشيلسي لن ينسوا أبدا كل ما فعله لنادينا. شكرا لك سيد أبراموفيتش".

مثال آخر للرعاية

أعلن نادي إيفرتون الإنجليزي الأربعاء الماضي عن تعليق جميع عقوده الرعائية "بمفعول فوري" مع الملياردير الروسي أليشير عثمانوف عقب الغزو الروسي لأوكرانيا.

وجاء في بيان للنادي "الجميع في إيفرتون مصدوم وحزين جراء الأحداث المروعة الجارية في أوكرانيا (..). يؤكّد النادي أنه علّق جميع العقود التجارية للرعاية مع شركات يو أس أم، ميغافون ويوتا"، التي يستحوذ عثمانوف المقرّب من الرئيس الروسي فلاديمير بوتين على حصص وازنة فيها.

وأضاف النادي المكنى بـ"توفيز" أن "اللاعبين، الجهاز الفني وجميع العاملين في إيفرتون يقدمون كل الدعم للاعبنا (الأوكراني) فيتالي ميكولنكو وعائلته وسيستمرون في ذلك".

ويطلق على اسم مركز تدريب إيفرتون "يو أس آم فينش فارم"، كما يملك عثمانوف خيار إطلاق اسم إحدى شركاته على الملعب الجديد للنادي والذي في طور البناء مقابل 30 مليون جنيه إسترليني (40 مليون دولار).

وكان رجل الأعمال الأوزبكي – الروسي أعلن الثلاثاء تخليه عن مهامه في رئاسة الاتحاد الدولي للمبارزة، مشيرا إلى أن قراره جاء على خلفية عقوبات أوروبية طالته بسبب الغزو الروسي لأوكرانيا.

> **بالرغم من الأثر السيء الذي يمكن أن يتركه بيع تشيلسي إلا أن ذلك لا يحجب حجم التطوير الذي عرفه الفريق مؤخرا**

ووصف عثمانوف، المتهم بأنه من أشد المقربين للرئيس الروسي فلاديمير بوتين، العقوبات الأوروبية بحقه بأنها "غير عادلة" ومبنية على مجموعة من الاتهامات المغلوطة تؤذي شرفه وكبرياءه وسمعته كرجل أعمال" مشيرا إلى أنه سيلجأ "إلى جميع الإجراءات القانونية لحماية شرفي وسمعتي".

واستثمر عثمانوف ثروته في أندية إنجليزية كأرسنال بين 2007 و2018 قبل أن يبيع حصته، في حين يملك أسهما في نادي إيفرتون حاليا، الذي يملك رجل الأعمال الإيراني فرهاد مشيري 94 في المئة من أسهمه.

ويرأس عثمانوف (68 عاما) الذي جمع ثروته من صناعة المعادن اتحاد المبارزة منذ عام 2018.

ويدخل فريق تشيلسي مرحلة حاسمة من تاريخه قد تنتهي به إلى التراجع وفقدان الصورة الناصعة عن كرة القدم الإنجليزية والأوروبية في وقت تبحث فيه بعض الأندية الأخرى عن ترتيب بيتها الداخلي ومحاولة النهوض من الأزمة الصحية العالمية التي مازالت آثارها ماثلة إلى حد الآن.

العرب
الأحد 2022/03/06
السنة 44 العدد 12348

برشلونة يختبر تعافيه قبل مواجهة الدوري الأوروبي

الخلطة السحرية لتشافي تؤتي ثمارها بانتظار التأكيد في الكلاسيكو

تحول برشلونة فجأة من فريق منهار يعاني من سوء النتائج والأداء المخيب بعد مسيرة مظفرة للنادي الكتالوني إلى ناد يحقق نتائج لافتة، وهو ما أرجعه محللون رياضيون إلى الوصفة السحرية التي وضعها مدربه الشاب تشافي هيرنانديز منذ تسلمه تدريب الفريق خلفا للهولندي رونالد كومان.

تحول لافت في المجموعة

برشلونة (إسبانيا) - حقق برشلونة استفاقة في الأسابيع الأخيرة على مستوى النتائج تحت قيادة المدير الفني تشافي هيرنانديز بعد فترة طويلة من التخبط.

ونجح تشافي في إعادة النتائج الإيجابية للبلوغرانا مع الأداء الرائع الذي طالبت به الجماهير ليستعيد الفريق هويته المعتادة والتي غابت لفترة طويلة.

ورغم أنه من المبكر الحكم على نجاح تجربة تشافي، لكن ما حققه حتى الآن كسب به احترام إدارة النادي والجماهير ودعمهما.

وسيكون شهر مارس الجاري بمثابة اختبار حقيقي للنهضة الكروية التي يسعى المدرب الشاب لإرسائها في القلعة الكتالونية، وذلك قياسا بالروزنامة الضاغطة للمباريات والوجه الذي سيظهر به الفريق في الاستحقاقين المحلي والقاري.

> تشافي نجح في إعادة النتائج الإيجابية للبلوغرانا مع الأداء الذي طالبت به الجماهير ليستعيد الفريق هويته المعتادة

وكان المدير الفني لريال مدريد الإيطالي كارلو أنشيلوتي قد تنبأ بنجاح تشافي بعد توليه القيادة الفنية للبلوغرانا.

وقال أنشيلوتي في تصريح سابق قبل مواجهة الكأس "أكثر ما يعجبني في تشافي أنه يعرف جيدا ما الذي يريده والطريقة التي يرغب في اللعب بها، ويناسب تماما شخصية برشلونة".

وأضاف "بوجود تشافي أصبح الفريق في حالة طيبة، وسيتحسن برشلونة بفضل أفكار تشافي".

وتولى تشافي تدريب الفريق بعد إقالة الهولندي رونالد كومان في وسط جدول ترتيب الليغا وموقف معقد في دوري الأبطال. ونجح المدرب السابق للسد القطري في الوصول بالبلوغرانا إلى المربع الذهبي بالليغا إذ يوجد في المركز الرابع برصيد 45 نقطة.

كما نجح برشلونة في الوصول إلى ثمن نهائي الدوري الأوروبي عقب الفوز على نابولي الإيطالي.

وقاد تشافي برشلونة حتى الآن في 20 مباراة وحقق عشرة انتصارات وستة تعادلات وتلقى أربع هزائم فقط.

ونجح تشافي في تعديل أوضاع الفريق خاصة الشق الهجومي الذي عانى منه البارسا منذ بداية الموسم بإهدار العديد من الفرص، وهو ما أضاع العديد من النقاط على الفريق في الليغا.

وكانت صفقات اللاعبين التي أبرمها برشلونة في الميركاتو الشتوي ذات تأثير إيجابي جدا وهم أدامو تراوري وأوباميانغ وفيران توريس حيث ظهرت بصماتهم سريعا مع الفريق.

ورغم صعوبة تحقيق برشلونة للقب الليغا هذا الموسم حتى الآن، ومع الإقصاء من بطولة كأس الملك، والسوبر الإسباني، تظل فرصة البلوغرانا الأقرب لتفادي الخروج بموسم صفري هي الدوري الأوروبي.

ولن تلقي الجماهير والإدارة أيّ لوم على تشافي حال خرج دون بطولات، نظرا لتوليه المهمة في وقت صعب، ونجح في إعادة هيكلة الفريق من جديد، حيث متوقع أن يبدأ مشروعا جديدا للنادي لاستعادة هيبة البلوغرانا في السنوات المقبلة. وسيكون برشلونة تحت قيادة مدربه تشافي هيرنانديز أمام اختبار حقيقي لمدى تحسن أدائه مع أسطورته سابقا خلال شهر مارس الجاري.

وسيخوض الفريق خلال الشهر الجاري خمس مباريات في 14 يوما ما بين المحلي والقاري.

وسيكون التحدي الأقرب للبلوغرانا بدءا من اليوم الأحد في ملعب إلتشي ضمن الجولة 27 لليغا، ثم سيوجه أنظاره بعدها إلى مسيرته القارية في الدوري الأوروبي بمواجهتي قلعة سراي التركي في ثمن النهائي التي ستتخللهما مواجهة أوساسونا محليا، قبل أن يختتم الشهر بالموعد المرتقب في "كلاسيكو الأرض" أمام الغريم التقليدي ريال مدريد على ملعب سانتياغو برنابيو.

وحتما، سيكون هذا الشهر اختبارا حقيقيا لمدى تطور أداء البارسا مع تشافي، لاسيما أن الفريق أنهى شهر فبراير الماضي بطريقة رائعة وبأهداف غزيرة عززها التدعيم القوي لصفوف الفريق في الميركاتو الشتوي.

ودون أي وقت للراحة سيعود رجال المدرب تشافي هيرنانديز إلى المنافسة المحلية وهذه المرة في مواجهة الفريق الملكي وسط جماهيره يوم العشرين من مارس، التي ستكون التجربة الحقيقية لإثبات عودة الفريق إلى الطريق الصحيح مع مدربه الجديد. وسيكون عشاق الكرة الإسبانية من جمهور العملاقين ريال مدريد وبرشلونة على موعد جديد مع الإثارة والمتعة في مباراة الكلاسيكو بالدور الثاني من منافسات الليغا بعد أيام قليلة.

ويستضيف ريال مدريد غريمه التقليدي برشلونة على ملعب سانتياغو برنابيو في قمة منافسات الجولة التاسعة والعشرين من الليغا في يوم العشرين من مارس الجاري.

ولا شك أن الوضع الحالي للفريقين سيزيد الإثارة المعتادة للكلاسيكو، حيث بات برشلونة وكأنه يعود تدريجيا إلى سابق قوته وأمجاده، بعد فترة قليلة من تولي تشافي قيادة الفريق.

ورغم صعوبة موقف برشلونة في الليغا، وضعف فرصه في المنافسة على اللقب، حيث يبتعد عن المتصدر ريال مدريد بفارق 15 نقطة (مع وجود مباراة مؤجلة)، فإن مباراة الكلاسيكو بكل تأكيد تبقى خارج الحسابات والتوقعات، وتعد بطولة مستقلة بين الغريمين.

وسوف يسعى برشلونة لعرقلة مسيرة الريال نحو اللقب، فإن كان ولا بد من خسارة النادي الكتالوني للقب، فهو بكل تأكيد لا يريده أن يذهب إلى غريمه.

وتترقب جماهير النادي الكتالوني رؤية خلطة تشافي الجديدة في مواجهة الكلاسيكو، حيث تألقت صفقات الفريق في الميركاتو الشتوي بشكل ملحوظ، وقدم عديد اللاعبين أوراق اعتمادهم.

عودة فيريرا إلى الزمالك تؤرق القائد شيكابالا

القاهرة - عاد البرتغالي جيسوالدو فيريرا من جديد لتدريب الزمالك في المرحلة المقبلة خلفا للفرنسي باتريس كارتيرون المدير الفني السابق الذي أنهى معه النادي تعاقده بالتراضي منذ عدة أيام.

ويتواجد مع فيريرا الثنائي المساعد أسامة نبيه وأحمد عبدالمقصود وأيمن طاهر مدرب حراس المرمى على مستوى العناصر المصرية في الجهاز الفني إلى جانب أربعة مساعدين أجانب.

وتمثل عودة فيريرا تهديدا لفرص أو استمرارية بعض اللاعبين في الزمالك وعلى رأسهم محمود عبدالرازق "شيكابالا"، قائد الفريق الأبيض.

وأنهى شيكابالا السبت عامه الـ36 لكنه لا يزال يشارك بشكل منتظم مع الفريق، خصوصا مع أزمة وقف القيد داخل النادي وحاجة الفريق إلى جهود كل اللاعبين.

ويمثل شيكابالا عنصر الخبرة داخل الزمالك إلا أنه لا يشارك في مباريات كاملة نظرا إلى ضعف معدل اللياقة البدنية لديه، ورغم ذلك يحدث الفارق بشكل كبير.

وسبق أن رفض فيريرا عودة شيكابالا إلى الزمالك مع انطلاق موسم 2015 – 2016، مفضلا الاستمرار بالمجموعة الموجودة من اللاعبين في خط الهجوم في هذه الفترة وهم أيمن حفني ومحمود كهربا ومصطفى فتحي، إلى جانب التعاقد مع محمد سالم وأحمد حسن مكي.

وتحدث أمير مرتضى منصور المشرف العام على الكرة في الزمالك، خلال تصريحات تلفزيونية منذ عامين عن موقف فيريرا من عودة شيكابالا.

وقال أمير "فيريرا أبلغني أنه إذا تحدث في مؤتمر صحافي وسُئل عن شيكابالا سيقول إنه يريده معه، لكن إذا جلس معي في اجتماع مغلق سيعلن رفضه لعودة شيكابالا".

وأضاف "فيريرا من أفضل المدربين الذين رأيتهم وهذا ذكاء منه، لأنه غير مُطالب أن يكون صريحا في الإعلام".

وعاد شيكابالا إلى الزمالك موسم 2019 – 2020 بعد تجربة احتراف في صفوف الرائد السعودي على سبيل الإعارة.

> عودة فيريرا تمثل تهديدا لفرص أو استمرارية بعض اللاعبين في الزمالك وعلى رأسهم شيكابالا قائد الفريق الأبيض

وشارك قائد الزمالك في كأس مصر فلعب مباريات المقاصة في ربع النهائي والاتحاد في نصف النهائي ثم بيراميدز في النهائي وصنع هدفين أمام الاتحاد وبيراميدز.

وشارك النجم الملقب بـ"الفهد الأسمر" في الدوري الموسم التالي، حيث صنع هدفا وسجل آخر في ست مباريات، كما لعب نفس عدد اللقاءات في دوري أبطال أفريقيا وسجل هدفا أيضا إلى جانب اللعب ثلاث مباريات في كأس مصر سجل خلالها هدفا.

وفي موسم 2020 – 2021 شارك شيكابالا في 27 مباراة بالدوري صنع خلالها ثلاثة أهداف وسجل هدفا، ولعب ثلاثة لقاءات في كأس مصر صنع خلالها هدفا واحدا.

وفي الموسم الحالي، لعب شيكابالا 5 مباريات في أبطال أفريقيا صنع خلالها هدفا، كما شارك في مباراتين فقط بالدوري.

يوفنتوس يكافح لإبعاد ديبالا عن إنتر ميلان

روما - كشف تقرير صحافي إيطالي السبت أن النية داخل إدارة يوفنتوس تتجه إلى محاولة الحفاظ على النجم الأرجنتيني باولو ديبالا الذي ينتهي عقده الصيف المقبل.

وكان نجم التانغو قد توصل إلى اتفاق على التجديد مع النادي الإيطالي في شهر أكتوبر الماضي.

لكن يوفنتوس عاد وسحب العرض المتفق عليه بشأن التجديد وقدم لديبالا عرضا آخر براتب أقل، ما أثار غضب اللاعب الذي أوقف المفاوضات.

ووفقا لموقع "كالتشيو ميركاتو" الإيطالي، وصل خورخي أنطوان وكيل ديبالا إلى مدينة تورينو لعقد جلسة جديدة مع البيانكونيري.

وقال الموقع إنه في حال عدم التوصل إلى اتفاق هذه المرة، فإن ديبالا سيودع يوفنتوس بنهاية الموسم حيث سينتقل مجانا إلى صفوف إنتر ميلان.

يذكر أن العرض الذي وافق عليه ديبالا كان يتضمن راتبا ثابتا يبلغ 8 ملايين يورو، بالإضافة إلى متغيرات تتراوح بين مليونين و3 ملايين يورو.

وقد تتعقد مهمة فريق السيدة العجوز من جديد بخروج مهاجمه الأرجنتيني الذي قدم مستويات لافتة في السنوات الأخيرة، لكن مشكلة تجديد عقده تقف عائقا أمام تواصل وجوده في تورينو.

ويحاول يوفنتوس العودة من جديد للمنافسة على لقب الدوري هذا الموسم بعد موسم مخيب العام الماضي وفقدان الأمل في المنافسة على لقب دوري الأبطال الحلم الذي دفع الكثير من أجل الحصول عليه بلا جدوى.

وأكد مهاجم يوفنتوس سابقا أن فريقه الذي يحتل المركز الرابع في الدوري سيناضل للفوز بلقب "السيري أ" لأنه "لا تزال هناك مباريات كثيرة" من بينها مواجهة إنتر ميلان.

واختلف ديبالا مع مدربه ماسيميليانو أليغري الذي أكد في العاشر من فبراير الماضي أن لقب الدوري "بعيد عن متناولنا".

وقال الدولي الأرجنتيني في تصريحات صحافية "في رأيي، نحن اليوفي ونأمل الأفضل. وعلينا لعب مباراة إنتر على أرضنا".

وقال اللاعب "لقد عدت إلى الفريق. أتمنى أن أستطيع اللعب كل المباريات من الآن إلى نهاية الموسم. في دوري الأبطال نلعب أمام فريق صعب، لكننا نلعب على أرضنا بكل الدعم من جماهيرنا".

في سياق متصل أعرب الأرجنتيني لاوتارو مارتينيز، مواطن ديبالا والذي يلعب في الغريم إنتر، عن سعادته الغامرة بعدما سجل هاتريك من أصل خمسة أهداف وقع عليها فريقه الجمعة في مواجهة ساليرنيتانا ضمن منافسات الجولة الـ28 من دوري الدرجة الأولى الإيطالي.

وعن كرته التي ضربت العارضة في مطلع المباراة قال لاوتارو "عندما اصطدمت بالعارضة، قلت: لن يكون يومي".

وتابع "لقد كان الأمر ثقيلا بالنسبة إليّ (الغياب عن التهديف)، أنا أعيش من أجل التهديف ومساعدة الفريق.. عندما لا أسجل أعود حزينا.. اليوم الأمر عكس ذلك، لأن إنتر قد فاز، ولأنني أعدت اكتشاف المرمى".

وأضاف "النقد جزء من اللعبة.. عندما نفوز يكون الأمر سهلا، وعندما نخسر يجب أن نظهر أننا فريق قوي".

رودولفو أروابارينا أمل الإمارات في بلوغ المونديال

دبي - يعلق المنتخب الإماراتي آمالا عريضة على المدرب الجديد لـ"الأبيض" الأرجنتيني رودولفو أروابارينا لتحقيق حلم طال انتظاره ألا وهو بلوغ نهائيات كأس العالم 2022 بقطر والذي لم يحققه المنتخب منذ أكثر من 30 عاما.

ويستهل أروابارينا مهمّته الرسمية مع منتخب الإمارات بالجولتين الحاسمتين من التصفيات المؤهلة لنهائيات كأس العالم في قطر 2022. ويحل الأبيض ضيفا على نظيره العراقي يوم الرابع والعشرين من مارس الجاري، قبل أن يستضيف المنتخب الكوري الجنوبي يوم التاسع والعشرين من الشهر نفسه، في الجولة الأخيرة.

ويتطلع المدرب الجديد، الذي تولى المسؤولية خلفا للهولندي المقال فان مارفيك، إلى حسم المركز الثالث في المجموعة المؤهل إلى الملحق الآسيوي.

وتحلم جماهير الكرة الإماراتية بوصول المنتخب إلى نهائيات كأس العالم للمرة الثانية بعد المشاركة الوحيدة في مونديال 1990 بإيطاليا. وتملك ثلاثة منتخبات عربية فرصا متباينة في التأهل إلى الملحق الآسيوي عن المجموعة الأولى التي حسمت فيها إيران وكوريا الجنوبية بطاقتي التأهل المباشر للمونديال.

وتحتل الإمارات المركز الثالث في المجموعة برصيد 9 نقاط متقدمة على لبنان (6) والعراق (5)، بينما فقد المنتخب السوري فرصه في التأهل، إذ يتذيل ترتيب المجموعة بنقطتين.

ويراهن أروابارينا على معرفته الكبيرة بالكرة الإماراتية رغم أنه لم يسبق أن تولى تدريب أيّ منتخب من قبل.

وتمكن رودلفو عندما تولى تدريب الوصل لمدة موسمين (2016 – 2018) من بلوغ نهائي كأس رئيس الإمارات وكأس المحترفين بعد غياب الفريق عن النهائيات لمدة 11 عاما.

لكن الوصل خسر أمام العين في نهائي كأس رئيس الإمارات وخسر من الوحدة في نهائي كأس المحترفين.

وإجمالا قاد الأرجنتيني الوصل خلال 48 مباراة حقق فيها 29 انتصارا و11 تعادلا و8 خسائر.

ثم تولى تدريب شباب الأهلي في أكتوبر 2018 خلفا للتشيلي لويس سيبرا وكان الفريق وقتها يحتل المركز الثامن في الدوري برصيد 6 نقاط من انتصارين و3 هزائم.

ونجح في قيادة الفريق للحصول على المركز الثاني في الدوري برصيد 53 نقطة وبفارق 6 نقاط عن الشارقة الذي حصد اللقب.

وقاد شباب الأهلي أيضا للحصول على بطولتي كأس الخليج العربي وكأس رئيس الإمارات في موسمه الأول، ولكنه فشل في موسمه الثاني في الحفاظ على كأس المحترفين، وخسر كأس السوبر الإماراتي قبل إقالته وإلغاء الموسم بسبب فايروس كورونا.

وقاد أروابارينا شباب الأهلي في 63 مباراة حقق الفوز في 42 منها والتعادل في 9 مواجهات مقابل 12 خسارة.

ولم يدخر المدرب الجديد جهدا منذ الإعلان عن التعاقد معه في الثالث عشر من فبراير الماضي إذ حرص على حضور العديد من مباريات المسابقات المحلية الإماراتية.

كما حضر تدريبات العديد من أندية دوري أدنوك الإماراتي للمحترفين، وتحدث مع الأجهزة الفنية لهذه الأندية للوقوف على أفضل تشكيلة ممكنة قبل تجمع المنتخب المقرر في دبي يوم السابع عشر من مارس الحالي.

ويحتاج الأبيض الإماراتي إلى تحقيق الفوز في مباراة واحدة من مواجهتي العراق وكوريا الجنوبية لضمان التأهل إلى الملحق الآسيوي في خطوة نحو بلوغ حلم المونديال.

حلم مشروع

العرب
الأحد 2022/03/06
السنة 44 العدد 12348

منطقة الطاسيلي ناجر في الجزائر تبهر الإسبان

تعمل الجزائر على تنشيط القطاع السياحي كمصدر دعم هام لاقتصادها نظرا لما تزخر به من طبيعة تتنوع بين الصحراء والجبال والبحر، ومنذ أكتوبر أطلقت الموسم السياحي الصحراوي، فكانت منطقة الطاسيلي ناجر تبهر القادمين إليها.

سحر الألوان والأشكال

إيليزي (الجزائر) – أعجب وفد سياحي إسباني بحجم القدرات السياحية الهائلة التي تتمتع بها منطقة الطاسيلي ناجر الممتدة عبر أقاليم محافظتي إيليزي وجانت، وذلك خلال رحلة سياحية استكشافية يقوم بها إلى هذه المنطقة.

واستمتع الوفد السياحي المكون من 14 فردا بجمال الكثبان الرملية الشاهقة والطبيعة العذراء وزخم الموروث الثقافي المنتشر عبر هذه المنطقة الشاسعة، والتي تعكس العمق التاريخي والامتداد الحضاري لمنطقة الطاسيلي ناجر.

وتعني كلمة الطاسيلي "السلسلة الجبلية التي يغطيها السواد"، مثلما يشير إلى ذلك الباحث إبراهيم العيد بشي، أما كلمة آجر أو ناجر، فاختلفت التعريفات بشأنها، بين من يقول إنها تعني "جلد الثور المسلوخ" أو "رأس الأقرع"، حتى إن هناك من قال إن معناها "النهر" أو "البحيرة".

في سنة 1982 صنّفت منظمة الأمم المتحدة للثقافة والعلوم موقع "طاسيلي ناجر" بالجزائر في قائمة التراث العالمي المحميّ.

إنها مجموعة من الجبال الصخرية والبركانية والمواقع المترامية جنوب البلاد، تقول "اليونسكو" إن تاريخها يعود إلى أكثر من 6 آلاف سنة قبل الميلاد.

وتقول دراسة نشرها أستاذ علم الآثار في الجزائر عبدالحميد بعيطيش، إن "الدراسات التي تناولت موضوع النقوش والرسومات الصخرية، تُجمع على أن منطقة الطاسيلي كانت منذ القدم ملتقى الحضارات، بدليل وجود معالم أثرية تدل على استمرارية حضارية بالمنطقة، ويعود تاريخ الاستيطان البشري بها إلى عصور ما قبل التاريخ، كما شهدت أوج ازدهارها في مرحلة العصر الحجري الحديث أو النيوليتي حوالي 8000 ق.م، ما جعلها مركزا رئيسيا لحضارة كبيرة شملت الصحراء الوسطى وامتد إشعاعها إلى باقي أجزاء أفريقيا خلال فترة ما قبل التاريخ".

وفي حديثه لوكالة الأنباء الجزائرية أبدى ألكسندر شافي انبهاره الكبير بحجم الثراء والتنوع الطبيعي الذي تتميز بهذه المنطقة بالرغم من زيارته لها للمرة الثانية، مشيرا إلى أن لهذا المكان "جاذبية وسحرا يشدانك إليه لاكتشافه أكثر والاستمتاع بتفاصيله التي تحمل قصصا ضاربة في عمق التاريخ".

و أعربت مواطنته آلان هي الأخرى عن سعادتها وهي تكتشف لأول مرة صحراء الجزائر والتي سمحت لها -حسب قولها- بالتعرف عن كثب على خصوصية هذه المناطق ونمط العيش فيها.

وسيطلع الوفد السياحي خلال هذه الرحلة التي تدوم نحو 10 أيام وعلى مسار سياحي يمتد من محافظة إيليزي إلى غاية جانت على مختلف المقومات السياحية والبيئية بإقليم الحظيرة الثقافية الطاسيلي ناجر والتي تتنوع فيها الوجهات الطبيعية والأثرية بين برك ومسطحات مائية ومساحات خضراء ومعالم جنائزية وغيرها من التشكيلات الجيولوجية والكهوف البركانية والنقوش الصخرية ورسومات تعود إلى ما قبل التاريخ.

وشهدت المنطقة توافد ما لا يقل عن 8556 سائحا أجنبيا وجزائريا منذ افتتاح موسم السياحة الصحراوية شهر أكتوبر..

ويصف موقع "اليونسكو"، هذه المنطقة الأثرية كما يلي "يأوي هذا المنظر القمري الغريب الذي يتمتّع بأهمية جيولوجية كبيرة أحد أكبر المجّمعات الفنية الصخرية التي تعود إلى فترة ما قبل التاريخ في العالم، 15 ألف رسم ومنحوتة تعود إلى عام 6 آلاف قبل الميلاد وتستمرّ حتى القرون الأولى من عصرنا".

وتشكّل بانوراما التكوينات الجيولوجية مصدر اهتمام استثنائي بفضل الغابات الصخرية، التي تتشكّل من الصلصال الرملي المتآكل.

وضمن جهود ترقية الحركية السياحية بالمنطقة تعمل مصالح القطاع على إدراج عدد من المسارات السياحية الجديدة قصد تعزيز وجهات استقطاب السياح وتنويعها والاستثمار في القدرات السياحية غير المستغلة التي تزخر بها المحافظتين، لاسيما تلك المنتشرة عبر مواقع تماجرات وأفرا وتاست وعرق إيسوان وواد جرات، وفقا لمدير السياحة في محافظة إيليزي عزيز عوامر.

وتستقطب منطقة الطاسيلي ناجر بأقصى الجنوب الشرقي للبلاد سنويا أعدادا معتبرة من السياح الأجانب والوطنيين لاسيما خلال موسم السياحة الصحراوية (أكتوبر – أبريل)، حيث تعتبر هذه المنطقة قبلة وملاذا لهواة السياحة والاكتشاف والمغامرة.

خبراء يرجحون اصطدام بقايا صاروخ بالقمر

واشنطن – اصطدمت بقايا صاروخ كان يطفو في الفضاء بالقمر الجمعة، على ما رجح خبراء، لكنّ الحدث لم يُرصَد بشكل مباشر وينبغي الانتظار للحصول على صور تؤكّده.

وحصل الاصطدام عند الساعة 12:25 بتوقيت غرينتش في الجانب المظلم من القمر، وفق ما أشار إليه عالم الفلك بيل غراي وهو أوّل من كشف عن الاصطدام المرتقب قبل أسابيع.

وقال إنّ الجسم الأسطواني الذي بلغت سرعته تسعة آلاف كيلومتر في الساعة "من المتوقّع أن يكون تسبب بحفرة قطرها بين عشرة وعشرين مترا".

واحتُسب مساره من خلال مشاهدات مرصودة بالتلسكوبات من الأرض. وأوضح غراي "كانت لدينا الكثير من البيانات حول هذا الجسم"، مضيفا "اصطدم الجسم بالقمر صباح الجمعة، إلا في حال سحبته يد شريرة".

وأثار تحديد هوية الصاروخ المعني جدلاً، في ظل عدم تولي أي جهة رسمياً مسؤولية تحديد مخلفات الفضاء التي تطفو في أعماق الكون وتتبعها.

ويراقب غراي هذه المخلفات ليتم تمييزها عن الكويكبات، وبالتالي تفادي إجراء أبحاث حولها من دون جدوى. وبعدما اعتقد بداية أنّ هذه البقايا هي لصاروخ تابع لشركة "سبايس إكس"، أعلن في النهاية أنها بقايا من الصاروخ الصيني "لونغ مارش" الذي أُطلق عام 2014 في إطار برنامج لاستكشاف القمر.

ونفت بكين الأمر، مؤكدة أنّ طبقة الصاروخ "دخلت بطريقة لا تحمل مخاطر في الغلاف الجوي واحترقت بالكامل".

ولا يمكن رصد الحفرة إلّا بمسبار مستكشف القمر المداري التابع لناسا أو مركبة "شاندريان 2" الهندية اللذين يدوران في مدار حول القمر.

وأكّدت ناسا في نهاية يناير عزمها تحديد موقع الحفرة، لكنها أشارت إلى أنّ العملية قد تستغرق أسابيع.

جولة فلامنكو في المغرب

الرباط – ينعقد مؤتمر الفلامنكو العالمي الذي يندرج في إطار أجندة الفلامنكو الدولية، والمنظم بمناسبة الذكرى الثلاثين لتأسيس معهد سرفانتس، ابتداء من الأسبوع المقبل في عدد من المدن بالمغرب.

وذكر بلاغ صحافي للمعهد الجمعة أن هذا الحدث سيعرف مشاركة نجوم مشهورين في هذا الفن، وذلك في إطار جولة تشمل العديد من البلدان حول العالم.

ومن المرتقب أن يشهد هذا الحدث الفني تنظيم مجموعة من العروض والأنشطة حول تيمة مشتركة "الكلمة.. أفريقيا" في كل من الدار البيضاء وفاس ومراكش والرباط وطنجة وتطوان.

وأضاف البلاغ أن هذه المدن ستعيش على إيقاع موسيقى كل من سيرخيو دي ليبو وعبير إل بيد خلال عرضهما المعنون "إل فياخي دل ميرلو" الذي سيقدمانه أيام السابع والثامن والعاشر والحادي عشر والثاني عشر مارس الجاري، وعرضان آخران سيقدمهما رافائيل كاراسكو (ناسيدا سومبرا) وكومبانيا باولا كوميتري ضمن برنامج هذا الحدث.

وأكد المنظمون أن عرض رافائيل كاراسكو "يمثل لقاء رقص الفلامنكو مع أعظم صانعات العصر الذهبي في إسبانيا"، في حين أن عرض باولا كوميتري يجسد "انعكاسا متحركا للتفاصيل الدقيقة ولإمكانات الجسم الحساس بوصفه وسيلة للإرسال".

وبهدف جعل الجمهور العريض يكتشف فن الفلامنكو، ستنظم الراقصة ومصممة الرقصات باولا كوميتري ورشة حول لغة الفلامنكو يومي السادس والعشرين والثامن والعشرين مارس الجاري بمعهد سرفانتس بمراكش وتطوان.

وبالإضافة إلى ذلك، سيلقي خبير الفلامنكو وعازف الموسيقى الإسباني فاوستينو نونييث والموسيقي المغربي أمين الشعشوع محاضرة حول موضوع "جذور الموسيقى العربية والفلامنكو" يومي التاسع والعاشر مارس بالرباط وتطوان.

من جهته سيقدم الكاتب والموسيقي والمدرس أنطونيو مانويل محاضرة حول موضوع "أركيولوجيا الخوندو.. كلمة الفلامنكو" أيام الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر مارس في مراكش والرباط وطنجة.

طرحت الفنانة المغربية فاطمة الزهراء العروسي مساء الجمعة أحدث أعمالها الفنية المصورة على طريقة الفيديو كليب تحت عنوان «الحب هو نتا»، وذلك على قناتها الرسمية في يوتيوب. وقالت العروسي إن «الحب الذي يكون نابعا من القلب يساهم في توطيد العلاقات مهما كانت نوعيتها»، وأشارت إلى أنها تحرص دائما في أغانيها على أن تحمل رسائل لها دلالات وكلمات نابعة من القلب، مؤكدة أنها تعمل دائما على أن تكون قريبة من الجمهور.

اكتشاف أقدم آلات قياس الوقت التي استخدمها العرب

عمان – يعتزم علماء وباحثون أردنيون قريبا الإعلان عن اكتشاف فلكي جديد سينضم إلى سلسلة من الاكتشافات في المملكة وهي "المزولات الشمسية".

وقال البروفسور محمد وهيب أستاذ الآثار في الجامعة الهاشمية الأردنية لوكالة الأنباء العمانية "إن الاكتشاف الجديد الذي سيعلن عنه خلال مارس الحالي هو نتاج جهد بحثي، ويعد أحد الاكتشافات المهمة التي تؤكد على أن الأردن يحتوي على العديد من الكنوز التاريخية المتنوعة".

وأوضح أن الاكتشاف هو المزولة الشمسية، وهي من أقدم آلات قياس الوقت التي استخدمها العرب سابقا في تحديد مواقيت الصلاة، فهي تعتمد على الشمس وزاوية انحرافها عن الأفق، أي أن مبدأها يعتمد على الزوايا عوضاً عن الساعة والدقائق والثواني.

ولفت إلى أنه تم إعداد كتيب سياحي للساعات الفلكية الشمسية في الأردن، كما سوف يتم إصدار كتاب خاص بالاكتشاف.

وبيّن وهيب أن نتائج البحث تؤكد على وجود الساعات الفلكية في عمّان في منطقة جبل القلعة، مشيرا إلى أنه قد بدأ الاهتمام بتوثيق "المزولات" بهدف التعرف على التاريخ الحقيقي للساعات الشمسية في الأردن في فترات زمنية امتدت في تاريخها من العصور الحجرية مرورا بالبرونزية والكلاسيكية والإسلامية.

صباح العرب

عدلي صادق

الحرب والدكتاتوريات السعيدة

في محاذاة الصور، ورسوم الكاريكاتير، ذات المضامين الافتراضية، التي تدفقت منذ بدء الغزو الروسي للأراضي الأوكرانية؛ كان هناك خط آخر، مخصص للزعيم الكوري كيم جونغ أون، يجعله متأهباً للمدد، واحتياطياً استراتيجياً لمخزون الروس الصاروخي. بل إن أغلب هذه الصور والرسوم، تُظهر كيم، في حال الضجر في انتظار أيّ استفزاز أميركي، أو من أيّ طرف في الغرب، لكي يدخل المعمعة. فقد نُشرت بعض الصور مع تعليقات تستنطق "كيم" باللهجات العامية العربية، فيما هو نافد الصبر في انتظار تحرش أو "حركشة".

في الحقيقة، وبقطع النظر عن اللقطات التي تزج بكوريا الشمالية في موضوع حملة روسيا العسكرية في أوكرانيا؛ تتلازم الإشارات التي تُغذي الغموض الرهيب الذي يلف أحوال كوريا الشمالية، مع إشارات أخرى - بالقدر نفسه - تدل على الخفة والسذاجة والاغتراب عن الواقع، في أداء الزعامة الكورية، وفي تمظهرات جمهورها واستعراضاتها ومواطنيها الذين يصفقون بحرارة للزعيم، أثناء مروره، وتنهمر الدموع من مآقي عيونهم، وهم يجهشون بالبكاء تأثراً بسحر "الوريث العظيم" و"الرفيق الرائع". فما نراه في تلك اللقطات، يكاد يجعلنا نصدّق أن ما يجري هناك، هو نتاج عاطفة حقيقية جياشة، يندر مثيلها في الدنيا، ولن يحظى بشيء منها، الأخيار الطيبون، حتى لو جعلوا الأرض والحياة رغداً لشعوبهم.

من الطبيعي أن يُظهر "كيم" حماسة لبوتين. فالأول كان سيفعل مع كوريا الجنوبية مثل الثاني، لو أن شطره الشمالي يمتلك مثل روسيا قاعدة علمية واسعة للصناعات العسكرية وموارد بلد شاسع، ومصادر ثروات كبرى وفضاء جغرافيا ينفتح على محيطات وبحار وقارات. لذا فإن الأمر بالنسبة إلى الزعيم "الرفيق الرائع" محض نوع من الإشباع النفسي البديل.

لا تخلو أيّ دكتاتورية أو حالة نرجسية لحاكم، من الإعجاب العالي بالنفس، ومن الأوهام المتناسلة. ومن الطبيعي أن تساند الدكتاتوريات بعضها بعضا، أما الديمقراطيات الاستعلائية، فإنها تحتقر من ينافقونها ويريدون الدخول في زمرتها. بل هي تستقطب الدكتاتوريات تلك التي تطيعها، وترد لها موالاتها بالدعم وبمساندة مشروعيتها المزعومة. فما أكثر الخيانات "الديمقراطية" التي تعرضت لها الشعوب، وأحبطت أحلامها في الحرية والكرامة والعدالة.

معلوم أن حافظ الأسد، كان معجباً بـ"كيم إيل سونغ" ورغب في احتذاء خطاه في التوريث، منذ أيام ابنه باسل. فأطول سفراء حافظ الأسد خدمة، كان سفيره في بيونغ يانغ، الذي ظل يستدعيه بين الوقت والآخر، لكي يتعرف منه على جديد التجربة الكورية الشمالية، وعلى تكتيكات التهيؤ للتوريث. وعلى خطى الأب، أرسل بشار رجلاً مقرباً منه، ويدعى تمام سليمان، سفيراً له في بيونغ يانغ، مهمته الحصرية الاستزادة من "فنيات" التوريث، لحين توريث "حافظ" الحفيد.

كيم جونغ أون، على توافق تام مع بشار الأسد، وقد تبادل الاثنان، الرسائل 12 مرة خلال سنة 2021 بينما لم يكن التبادل مع الصين نفسها إلا أربع مرات. والأطرف أن يوصي "كيم" سفيره لدى سوريا مون جونغ نام، كي يشرح لوزير بشار (عمرو سالم، المتسلم حقيبة التجارة الداخلية وحماية المستهلك) كل أسرار جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية "في تجاوز الحصار المفروض عليها وترقية معيشة الشعب الكوري في ظل الضغوطات" حسب ما جاء في بيان رسمي!

أغلب الظن أن "كيم" حسن النية مع صاحبه، لكنه يجهل أن هذا الصاحب لا يحمي نفسه بنفسه، ولا يحظى بعواطف جياشة ولا تنهمر دموع الشعب نفاقاً له، وإنما انهمارها بسبب آلام الفواجع والجروح التي أوقعها الصاحب بشعبه.